

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أحمد بن بلة -1- وهران

قسم اللغة العربية و آدابها

مشروع: بلاغة القرآن دراسة في الأساليب.

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير بعنوان:

أثر القراءات القرآنية في إنتاج تعدد الدلالات دراسة وموازنة.

تحت إشراف الدكتور:

منصوري ميلود.

إعداد الطالب:

جلول دواجي جمال.

لجنة المناقشة: 2015/06/24

الأستاذ الدكتور: بوعزة عبد القادر..... جامعة وهران..... رئيساً

الأستاذ الدكتور: منصوري ميلود..... جامعة وهران..... مشرفاً مقررأ

الأستاذ الدكتور: عبد الخالق رشيد..... جامعة وهران..... عضواً مناقشاً

الأستاذ الدكتور: زراّدي نور الدين..... جامعة وهران..... عضواً مناقشاً

الموسم الجامعي: 2015/2014.

قال الله تعالى:

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾

- سورة القمر -

إهداء

إلى والدي الكريمين اللذين رباني و وهباني الحياة

و جعلاني من كلّ درب طريقاً إلى الجنّة ،و من كلّ صعب
سبيلاً يسيراً.

إلى الرياحين الطاهرة محمد،عدة ،نور الدين،إلى الأخوات
الكريمات

إلى الصفحة الطاهرة التي كانت لي سنداً من حيث لم أحتسب
زوجتي العزيزة.

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع الذي لا يرقى إلى
المستوى المطلوب.

شكر و تقدير

قال الله تعالى: قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ

أَكْفُرُ ^{صل} وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ^{صل} وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي

غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ النمل (40).

أتقدم بوافر الشكر و التقدير إلى أستاذي الكريم الدكتور منصوري ميلود، لتفضله بالإشراف على هذه الأطروحة ،دون أن أنسى الأستاذ المحترم بوعزة عبد القادر رئيس المشروع الذي أفادنا بالتوجيه و الإرشاد، كما أتقدم بالشكر إلى كل من ساندني و لو بكلمة طيبة ،و إلى كل من أدلى بدلوه في إخراج هذه المذكرة.

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين و الصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيّدنا محمد الصادق الأمين مبّلىغ الكتاب العربي المبين من لدن عزيز حكيم وبعد.

من حكمة الله سبحانه وتعالى أن جعل القرآن الكريم يسير الذّكر و القراءة ، و اختار لذلك أساليب تتوافق و فصاحة اللّسان العربي الذي تعدّد بتعدد لهجاته ، فشاء سبحانه وتعالى أن تتعدّد قراءاته و أوحى إلى نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم بأن يعلمّ أمته حديث الأحرف السبعة الذي يعتبر المصدر الرئيس للقراءات القرآنية التي تآلفت معانيها في نسق لا يدركه القاريء إلاّ إذا غاص في أغوار علم سخر الله رجالاً لخدمته و استظهار مغزاه، فانصرفت طائفة منهم لجمع القراءات و أخرى لتصنيفها و الثبّت من صحتها، فكان لهم فضل السبق و الرّيادة في ترسيخ القواعد الأساسية لعلم القراءات ، فأصبح هذا العلم مجمع العلماء من باحثين و قراء، حيث تشاركت كلّ العلوم العربية في تبيان مقاصده، فاتخذه اللّغوي برهاناً على قاعدته أو حجة لمذهبه، و اعتمده الفقيه في استنباط الأحكام أو ترجيح حكم على آخر من خلال التفسير، و وجدت فيه الطوائف الإسلامية مرجعاً لنصرة توجّوها و نشر أفكارها، وبرز من خلال هذه الاتجاهات اتجاه يعتمد على التحليل اللغوي و النحوي لإبراز المعاني المترتبة على هذا التعدّد، فأصبح بذلك ثروة غنيّة و كنزاً من كنوز التشريع الإسلامي لما يحويه من معانٍ ودلالات ذات أثار قيّمة على جميع المستويات، فجعله السيوطي (911هـ) وجهاً من أوجه الإعجاز القرآني، حيث أضاف لبنة من اللّبنات الأساسية في الدراسات القرآنية.

و عليه فإنّ الأمر تخطى الغرض الذي أمر من خلاله نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم بقراءة ما تيسّر من القرآن بالأحرف السبعة تهويناً و تخفيفاً على أمته إلى ما هو أبعد من

أثر القراءات القرآنية في إنتاج تعدد الدلالات

ذلك فهماً و تحليلاً و استنباطاً للمعاني و الدلالات المكتنزة في هذه الأحرف ،فالكلمة القرآنية هي بنية مركبة خاضعة لعدّة مستويات أولها المستوى الصوتي الذي يعتمد بالدرجة الأولى على مخارج الحروف ،و قد رأى علماؤنا أنّ أي انزياح للموجة الصوتية أثناء اجتماع الصوامت - التي هي مكونات الكلمة- يؤدي على تغير في الدلالة و إن كان المعنى الأصلي للكلمة ثابتاً ،و القراءات القرآنية في حدّ ذاتها تجمع مجموعة كبيرة من الانزياحات فنجد مثلاً من القراء من يحقق الهمز ومنهم من يخفف ،و منهم من يميل و منهم من يحرك ومنهم من يفخّم و آخر يرقّق،و غيرها من الثنائيات التي جمعتها القراءات.

و على المستوى الصرفي نجد أنّ القراءات القرآنية قد مسّت هذا الجانب أيضاً من خلال تلك التغيرات في الحركات الإعرابية و غير الإعرابية ،بالإضافة إلى الإبدال في الحروف إمّا بالإثبات أو الحذف.

و لكن هل يمكن لهذه التغيرات التي تعرفها الكلمة على هذه المستويات في إطار القراءات القرآنية أن يكون لها أثر في إنتاج الدلالة أم هي مجرد تغيرات سببها رسم المصحف العثماني و لا علاقة لها بالمعنى المقصود من الآيات؟ ،و إن كانت كذلك فهل تحمل هذه الدلالات اختلاف في ذات القرآن و تناقضاً بين الآيات؟، ومن هذا المنطلق كان عنوان البحث :

"أثر القراءات القرآنية في إنتاج تعدد الدلالات دراسة و موازنة"

جمعت من خلال صياغة العنوان بين ما هو ثابت (القراءات القرآنية) وما هو متغيّر (الدلالة) ،باعتبار أنّ الدلالة يمكن أن يطرأ عليها تغير فاتحة أفقاً رحباً يمكن تسميته "أفق الانتظار" ،وهو ما يجعل بعض الكلمات القرآنية متعدّدة المعاني في ذهن الإنسان كونها لا تستقرّ على معنى إلّا و أتى زمن تطلّق فيه ذلك المعنى لتتزوج بمعنى آخر ،ما يطلي لون الطرافة في البحث و الاستمتاع بتقليب اللسان و تدوير السمع على كلّ الجوانب المتاحة حتى ترسو على وجه يقبله ذهنك و يستلذه لسانك ،و تطرب له أذنك.

و قد حاولت من خلال هذه الدراسة الجمع بين الماضي و الحاضر أو بين الأصالة و

أثر القراءات القرآنية في إنتاج تعدد الدلالات

الحداثة، و يعنى هذا الموضوع بالقراءات العشر الصحيحة المختلفة اختلافاً يظهر من خلاله اختلاف في الدلالة ،و كان المنهج الوصفي هو ما اعتمدته من أجل إبراز هذا الأثر في الإنتاج الدلالي للقراءات باعتبار أنه يحوي عدّة آليات مساعدة للوصول إلى نتيجة ، كما أنّه منهج يعطي الباحث متسعاً كبيراً من أجل معالجة عدّة إشكاليات طرحتها القراءات القرآنية.

و لقد كان لكلّ ذلك أثر في وضع الخطة المناسبة التي سار عليها البحث حيث قسّمت البحث إلى فصلين يندرج تحت كلّ فصل خمسة مباحث و هي موزّعة كالآتي:

الفصل الأول: المسار التاريخي للقراءات القرآنية.

فلا يمكن لأي باحث في مجال القراءات أن يتجاوز النظر في تاريخ القرآن و القراءات و ذلك من أجل الوصول إلى أصلها و حقيقتها ،و قد طرحت في هذا الفصل عدّة إشكاليات جعلتها في قالب ثنائيات ،فكان المبحث الأوّل بعنوان **القراءات بين المبال و الواقع**، عالجت من خلاله قضية ربما بقيت من المتشابهة إلى يومنا هذا و ستبقى ربما إلى أن يشاء الله أمراً، فالقرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى منزل بلسان عربي مبين ،و هذا اللسان يضم عدّة لهجات أخضعت النصّ القرآني لحاجتها.

لذلك كان من الواجب المرور على حديث الأحرف السبعة من خلال المبحث الثاني و الذي اخترت له العنوان الآتي: **الأحرف السبعة بين الإثبات و النسخ.**

فالقراءات القرآنية لم تكن لتوجد من دون إذن الشارع في ذلك ،و سنورد في المتن عدّة روايات لهذا الحديث و المشترك بينها هو إذن النبي صلى الله عليه و سلم لأئمة بأن يقرأ القرآن على سبعة أحرف ،و لكن المشكل فيها هو المقصود بهذه الأحرف ،و قد لاحظت اختلافاً شاسعاً بين العلماء اللذين حاولوا تنوير الناس بتأويل قد يحتمل الصواب و الخطأ و قد ذكر السيوطي أهم هذه التأويلات في كتابه **الإتقان في علوم القرآن**، كما حاولت من خلال هذا المبحث إبراز العمل الجليل الذي وفق إليه عثمان بن عفان في جمع القرآن و

أثر القراءات القرآنية في إنتاج تعدد الدلالات

القراءات، و الخوض في معنى الأحرف السبعة و إثباتها أو نسخها يحيلنا إلى قضية أخرى عاجلتها في المبحث الثالث الذي كان بعنوان : **القراءات القرآنية بين التوقيفية و التوفيقية**، فقد لاحظت اختلافاً بين القراءات و بين الأحرف ، فالأحرف توقيفية حدّها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : **"لكلّ حرف حدّ"**، و لكن القراءات القرآنية تخضع لمنهج الاختيار على مستوى هذه الأحرف ، فهل أجاز نبينا هذا الاختيار لأصحابه؟.

ذلك ما حاولت معالجته من خلال المبحث الرابع الذي كان عنوانه: **مقاييس قبول القراءة**، فالمنهج (الاختيار) فتح الباب أمام توسع القراءات إلى حدّ ربما لم تحتمله الأحرف السبعة، لذلك عمد علماؤنا إلى وضع مقاييس يجب أن تمرّ عليها القراءة ليتم تصنيفها إما في خانة الصحة أو الشذوذ.

أمّا المبحث الخامس فهو يعالج قضية تعامل النحويين مع القراءات القرآنية من خلال مدرسة البصرة و الكوفة، و كان بعنوان: **القراءات القرآنية في ضوء القواعد الصارمة للنحو**، فالنحوي الذي بنى قاعدته مستشهداً بما جمعه من الشعر و النثر يعتبر قاعدته مسلّمة لا يمكن التنازل عنها أو تخطئتها لتأتي القراءة القرآنية في بعض الحالات فتتجاوزها لذلك نجد بعض النحويين يردّون القراءات الصحيحة التي تخالف قاعدتهم.

أمّا فيم يتعلق بالفصل الثاني فهو فصل تطبيقي ينطوي تحته خمسة مباحث موزّعة على حسب التغير الذي يطرأ على الكلمة، ضمت هذه المباحث عشرة نماذج من الآيات القرآنية قمت فيها بمعالجة كلّ نموذج على حدا من خلال المرور على تفسير الآية أولاً ، ثمّ إبراز سبب نزولها و الكلمة التي تعدّدت فيها القراءة، لأبدأ في تحليل كلّ قراءة ثمّ أخلص في الأخير إلى نتيجة، فاخترت لهذا الفصل العنوان التالي: **الإنتاج الدلالي على مستوى القراءات** ، حاولت من خلاله إبراز أثر القراءات القرآنية و تعدّدها في الإنتاج الدلالي على المستويين الصوتي و الصرفي، فكان المبحث الأوّل بعنوان: **الوقف و الابتداء**، باعتبار هذا الأخير يقسّم الكلام إلى دفعتين ولكلّ دفعة دلالة تتعلق بها و قد اختلف القراء في هذا

أثر القراءات القرآنية في إنتاج تعدد الدلالات

الباب (الوقف و الابتداء) فتعددت بذلك الدلالة دون وجود أي اختلاف بين الدلالات الناتجة.

أمّا المبحث الثاني فيتعلق بالمستوى الصرفي للكلمة القرآنية و يخصُّ الحرف، وكان عنوانه:

الإبدال في الحروف، حيث نجد أنّ القراء العشرة يختلفون في بعض الأحرف كأن تبدل الياء تاءً في قوله (يعلمون-تعلمون)، أو التاء باءً في قوله (تبلو - تتلو)، وغيرها من النماذج التي يبرز من خلالها توليفة من المعاني و الدلالات ، و هناك اختلاف بين القراء في إثبات بعض الأحرف أو حذفها و هذا ما عاجلته من خلال المبحث الثالث الذي كان عنوانه: **الحرف بين الإثبات و الحذف** ، و هذا التعدد لا نجده في مصحف واحد و إنّما وزّعت أوجه الاختلاف على المصاحف التي أرسلها عثمان بن عفان إلى الأمصار.

كما مسّت القراءات القرآنية الحركات الإعرابية و غير الإعرابية، فنجد هناك تعدداً على هذا المستوى ، و قد أشار بعض الباحثين إلى أنّ هذه التغيرات سببها اللهجات العربية و رسم المصحف أيضاً، و قد حاولت من خلال المبحثين الرابع و الخامس نقض هذه النظرية التي تبناها بعض المستشرقون و سار معهم في هذا الباحثون العرب، **فالمبحث الرابع: الإبدال في الحركات الإعرابية**، يعالج التغير في الحركات الإعرابية التي يتغير معها دور الكلمة في سياق الآية ما يؤدي بالضرورة إلى تغير في الدلالة و قد تحمل الكلمة أكثر من وجهين تبني كلّ وجه قارئ من القراء، و يعالج **المبحث الخامس: الإبدال في الحركات غير الإعرابية** و الذي يتغير معه معنى الكلمة في السياق، و لكن الملاحظ هو تناسب كلّ الأوجه مع السياق فلم أكد ألس أدنى اختلاف بل هناك تكامل واضح.

و في الأخير تأتي الخاتمة التي تضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال عرض هذين الفصلين، بالإضافة إلى تذييلها بتوصيات و اقتراحات كانت على شكل إشكاليات بقيت مطروحة في هذه الدراسة، و هذه الاقتراحات تبرز صعوبة البحث في هذا الموضوع الذي يعدّ

أثر القراءات القرآنية في إنتاج تعدد الدلالات

من أخطر المواضيع التي ربما يعالجها أي باحث لأنه يتعلق بقدسية القرآن الكريم التي لا يجب أن يمسها أحد كما أنه موضوع يحمل في طياته عدّة إشكاليات، فكلما حاولت تناول قضية و إبداء الرأي فيها إلّا و ظهرت قضية أخرى خاصة فيما يتعلق بالأحرف السبعة و إثباتها أو نسخها، كما أنّ معظم المصادر التي استفدت منها في هذا البحث تبقى مثل هذه القضايا مفتوحة، و هذا ما يبقى الباحث تائهاً بين أقوال العلماء، و مع ضيق الوقت اضطرتت إلى التنازل عن فصل كامل أردت من خلاله دراسة القراءات القرآنية من جانبها الصوتي لأرى إن كان للهجات العربية أثر في تغير الدلالة، و الصعوبة الأخرى هي قلة الدراسات التي جمعت بين علم القراءات و علم الدلالة فمعظم المؤلفات كانت في مجملها تركّز على التغيرات دون الإشارة إلى المغزى من هذا التعدّد، و إن كانت فإنّها إشارة اختلاف بين القراءات لا إشارة تعدّد و تكامل، فنجدها في أغلبها تستعمل المصطلح المتداول منذ القديم (الاختلاف) دون النظر إلى أبعاده الدلالية خاصة إذا تعلق الأمر بالقرآن الكريم و هذا الأمر هو ما دفعني لأركب سفينة القراءات التي حاول بعض المستشرقين إغراقها في بحر جهلهم في ظلّ صمت اللسان العربي.

لقد قادني هذا الموضوع إلى تقليب كتب التفسير و أهمها تفسير التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور الذي كان من بين المفسّرين الأوائل اللذين خصّصوا جزءاً من تفسيرهم للقراءات فنجده يحتجّ بها و يشير في كثير من الأحيان إلى أثر التنوّع و التعدّد في القراءة، بالإضافة إلى تفاسير أخرى كتفسير جامع البيان للطبري، و الكشف للزمخشري، و البحر المحيط لأبي حيان و من التفسير إلى كتب اللغة التي أدلت بدلوها في هذا المجال، فكان منها الكتاب لسيبويه، و المقتضب للمبرّد، و الخصائص لابن جني، مروراً بكتب معاني القرآن و إعرابه وكان منها: معاني القرآن للفراء، معاني القرآن للزجاج، و معاني القرآن للنحاس، و من كتب القراءات اخترت المصادر التالية: النشر في القراءات العشر لابن الجزري، يليه إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للبنا الدميّاطي، و الحجّة

أثر القراءات القرآنية في إنتاج تعدد الدلالات

في القراءات السبع لأبي علي الفارسي، و السبعة في القراءات لابن مجاهد.

كما أخذت الكتب الحديثة -و هي من الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع - حظها في هذا البحث و أهمها : كتاب التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية لصاحبه أحمد سعد محمد، و الإعجاز القرآني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة لأحمد بن محمد الخراط ، و القراءات في نظر المستشرقين و الملحدين لعبد الفتاح عبد الغني القاضي، و إعجاز القرآن و البلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي و إعجاز القراءات القرآنية لصبري الأشوح.

هذا ما منّ الله به علينا في هذا الموضوع فما كان من صواب فمن الله و ما كان من خطأ فمن نفسي و من الشيطان أعاذني الله و إياكم منه.

الفصل الأول

المسار التاريخي للقراءات القرآنية.

توطئة:

إنّ البحث في الإعجاز القرآني يتجدّد بتجدّد الفكر الإسلامي المواقب لتطور المجتمعات، ففي كل عصر و منذ أربعة عشر قرناً و القرآن يتجلى حياً في المصاحف كأنّه حديث النزول غرض طريّ، كلّما أراد أعداء الإسلام - ممن تحرّكت شقاشقهم - النيل منه بدا لهم منه ما أحرص ألسنتهم و أعْي عقولهم فنالتهم الحبسة، و لبستهم اللُّكنة، فكانوا كالروايا تحمل الماء و تشكو العطش. ولو تتبعنا المسار التاريخي للقرآن الكريم سنجد أنّه في كل عصر من العصور التي مرّت بها الأمة الإسلامية قد امتنّ الله فيها على أهل القرآن بفتح من المفاتيح التي فتحت أقفال القلوب، و ساهمت في تقريب المعنى، و تحديد حيويّة النصّ القرآني حتى بدا لنا كأنّ الذين سبقونا لم يفسّروه ولم يحيطوا بكلّ المعاني المكتنزة في أسلوبه المميّز، لهذا نجد أنّ التفاسير تعدّدت، و كل تفسير حمل معه طابعاً ميّز حقبة زمنيّة معيّنة، و العجيب في الأمر كلّهُ هو تلك الانسيابية التي تتحرك بها الكلمات القرآنية في ظلّ هذا التعدّد ليس في الفهم فقط، بل حتّى في القراءة، و مع هذا لا نجد فيه أدنى تناقض.

و القراءات القرآنية من الأساليب التي تميّز بها النصّ القرآني، وقد انفرد بهذه الخاصية دون سائر النصوص البشرية التي لو دخل فيها أدنى تغيير لتبدّل المعنى و اختلّ التركيب فحدث بذلك الاختلاف و التناقض، بل و ينزل هذا النصّ من أعلى مراتب البلاغة و الفصاحة إلى منازل السوقية و السخافة، فيصير باهتاً خافتاً قد فقد كل مميّزات الجمال و التأثير في النفس على عكس النصّ القرآني الذي نجد في بعض كلماته أوجهاً متعدّدة للقراءة، و كل وجه يتناسب مع الوجه الآخر، و على منهاج واحد في النظم و مرتبة واحدة في غاية الفصاحة و البلاغة، و التكامل في التصوير، و هذا الأمر لا يلمسه القارئ أو الباحث في القراءات القرآنية إلّا إذا تعمق في البنيّة الدلالية، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور (ت 1393هـ) في مقدمة تفسيره: "إنّ القراءات العشر الصحيحة

المتواترة، قد تتفاوت بما يشتمل عليه بعضها من خصوصيات البلاغة أو كثرة المعاني أو الشهرة. (1)

و كثيرة هي صفات القرآن جمعها النبي صلى الله عليه و سلم في قوله: "فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَ خَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ. هُوَ الْفَضْلُ لَيْسَ بِأَهْزَلُ مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَارٍ قَسَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَ مَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمُتَمِّينِ، وَ هُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَ هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَ لَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَ لَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَ لَا يَخْلُقُ عَلَى كَثَرِهِ الرَّدُّ، وَ لَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ." (2)

ومن عجائبه القراءات القرآنية التي أخذت حيزاً كبيراً من البحث، والذي كان في مجمله يصبُّ في وضع أسس لعلم يضبطها، ومنذ القرن الثالث الهجري و علماء الأمة الإسلامية يَرُدُّون على هذا النهر، فاختلقت توجُّهاتهم و توجيهاتهم لهذه القراءات كلُّ حسب ما تيسر له من زاد معرفي، و لا زال هذا العلم الجليل يراوح سطور ما كتبه علماؤنا في القديم -رغم بعض المآخذ التي تؤخذ عليهم- إلا أنَّ علماء هذا العصر انصرفوا عن البحث فيه، و التعقيد له و ضبطه خوفاً أو تحرجاً من الخوض في قضايا مثيرة للجدل، ووجد فيها جيل جديد من الذين قال فيهم الحقُّ سبحانه و تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ (3).

وجد هؤلاء ساحة لنفث سمومهم محاولين ضرب القرآن الذي يعتبر التشريع الإلهي المقدس لهذه الأمة. و كثيرة هي مقالاتهم، و كلها كذب، و تدليس، و افتراء لا أساس له من الصَّحَّةِ إمَّا لكونه مبنياً على نزعات طائفية أو لكونه صادراً من جهات تكنُّ العداء للإسلام، و قد حاولوا الهجوم على القرآن من باب اختلاف القراءات.

- فما معنى الاختلاف؟

- (1) تفسير التحرير و التنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، ج1، ص51.

- (2) أخرجه الترمذي ورواه الحسين بن علي عن حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن الحارث.

- (3) آية (04)، سورة الفرقان.

المبحث الأول القراءات بين المثال و الواقع.

توطئة:

إنّ المتتبع لمسار البحث و التوجيه في القراءات القرآنية يجد أنّ أغلب هذه الدراسات كانت تدور حول مصطلح "الاختلاف"، أي "اختلاف القراءات"، بل و كان البعض يثير الاختلاف بين القراء من خلال ترجيح قراءة على أخرى حتى يكاد يسقطها رغم أنّها منقولة بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم، كما روى ابن مجاهد (ت 324^{هـ}) عن الحسن بن علي بن مالك (ت 179^{هـ}) قال حدثنا أحمد بن صالح المصري⁽¹⁾ قال سمعت ابن وهب⁽²⁾ (ت 197^{هـ}) يقول: "قراءة نافع سنة". (3)، وهذا القول قد يمهّد لمعنى آخر، و هو أنّ باقي القراءات ليست من السنة.

و من الفرق الإسلامية من حاول إخضاع القراءات وفق ما يناسب تصوراتهم و اعتقاداتهم،

فقد ورد في قراءة: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (4)

أنّ المعتزلة قرأت "الله" بالنصب و قرأت الأمة بالرفع، و هذا حتّى لا يشبّوا الكلام لله سبحانه و تعالى (5)، كما قرأ بعض الرافضة⁽⁶⁾ قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُكُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا﴾ (7).

بتشنية "المضيلين" و فسروها على أنّهما أبو بكر و عمر رضي الله عنهما، و اتهموهما زوراً بتحريف القرآن، فهم يقولون أنّ أبا بكر و عمر و عثمان هم الذين حرّفوا القرآن وحذفوا منه

- (1) أحمد بن صالح روى قراءة ورش عن نافع و قالون (ت 248^{هـ}).

- (2) ابن وهب وهو محدث وفقه مصري (ت 197^{هـ}).

- (3) السبعة في القراءات لابن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف مصر 1972م، ص 62.

- (4) الآية (164)، سورة النساء.

- (5) ينظر، تفسير التحرير و التنوير، الطاهر ابن عاشور، ج 1، ص 61.

- (6) الرافضة: طائفة ذات آراء اعتقادية أخطرها، تكفير أكثر الصحابة رضوان الله عليهم، و الطعن في خلافة أبي بكر و عمر رضي الله عنهما، و القول بأنّ الخلافة في علي رضي الله عنه و ذريته من بعده، وقالوا أنّ القرآن محرّف.

- (7) الآية (51)، سورة الكهف.

فضائحهم(1).

و من النحويين أيضاً من أنكر القراءات التي لا توافق أقيستهم، يقول الدكتور مهدي المخزومي: "فما وافق منها أصولهم و لو بالتأويل قبلوه و ما أبأها رفضوا الاحتجاج به و وصفوه بالشذوذ." (2)، و من الأمثلة على ذلك قول ابن جنّي (ت 392هـ) في قراءة أبي عمرو (70هـ-154هـ): "يغفرّ لكم" بإدغام الراء في اللام، فمدفوع عندنا و غير معروف عند أصحابنا، إنّما هي شيء رواه القرّاء و لا قوة له في القياس." (3) رغم أنّ قراءته متواترة عن النبي صلى الله عليه و سلم.

كما ردّوا قراءة حمزة (70هـ-156هـ) "و الأرحام" بكسر الميم " فقالوا لا يُضمّر على مضمّرٍ مخفوض إلّا بإعادة الخافض." (4) و حمزة من القراء السبعة.

و الصواب هو عرض هذه الأقيسة على النصّ القرآني باعتباره في أعلى مراتب الفصاحة و البيان وليس العكس، يقول أبو عمرو الداني (ت 444هـ): "لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، و الأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر، و الأصحّ في النقل و الرواية. إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأنّ القراءة سنّة متّبعة يلزم قبولها و المصير إليها." (5)

فالقراءة إذا كانت سنة مروية عن النبي صلى الله عليه و سلم لا يجوز لأي كان أن يردها لمخالفة قياس ما.

- (1) ينظر، دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة و الباطنية، عبد القادر بن محمد عطا صوفي، ط1 2005م، دار أضواء السلف للنشر و التوزيع، ص21.

- (2) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة و النحو، مهدي المخزومي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2 (1377هـ-1958هـ)، ص337.

- (3) الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري، فاضل السامرائي، مطبعة الإرشاد بغداد، (1390هـ-1971هـ)، ص40.

- (4) المرجع نفسه، ص42.

- (5) النشر في القراءات العشر، أبو الخير ابن محمد الجزري، مطبعة مصطفى محمد-مصر-، ج1، ص10-11.

كما لا يجوز المفاضلة بين القراءات الصحيحة المرئية عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول النحاس (ت 338^{هـ}) فيمن يفاضل بين القراءات: "و السلامة من هذا عند أهل الدّين إذا صحّت القراءتان عن الجماعة، أن لا يقال إحداها أجود من الأخرى لأنهما جميعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيأثم من قال ذلك." (1)

فالمفاضلة بين القراءات ترمي لمعنى آخر يتمثل في أنّها ليست وحياً من الله و أنّها نتاج الخط العربي و طبيعته و قد يكون سبب إثارة الاختلاف من خلال عدم تحديد عدد القراءات التي يجب على الأمة التقيّد بها و حفظها، فمنهم من رأى أنّها سبع قراءات و أهمل الباقي، و البعض قال بأنّها عشر قراءات، و قال البعض أنّها أربع عشرة قراءة، و في ظلّ هذا الاختلاف وجد المستشرقون الباب مفتوحاً على مصراعيه فلبسوا الزّي العربي لتوجيه الطعنات من الداخل، و كان تأثيرهم واسعاً على ذوي النفوس الضعيفة من الدّين حاك في أنفسهم الشكّ، فراحوا يجادلون في ما ليس لهم به علم محكّمين أهواءهم في قبول القراءة أو ردّها أو إنكارها، يقول مصطفى صادق الرافعي (ت 1356^{هـ}): "و كانت وجوه القراءة التي يؤدي بها القرآن مختلفة باختلاف الأحرف التي نزل عليها، فكان الذي يسمع هذا الاختلاف من أهل الأمصار إذا احتوتهم المجامع، أو التقوا في مواطن على الجهاد يعجب من ذلك أن تكون هذه الوجوه كلّها على اختلاف ما بينها في كلام واحد، فإذا علم أنّ جميع القراءات مسندة إلى الرسول الله صلى الله عليه وسلم و أنّه أجازها لا يمنع ذلك أن يحيك في صدره بعض الشكّ، فلا يلبث أن يُجري ذلك الاختلاف مجرى مثله من سائر الكلام، فيرى بعضه خيراً من بعضه." (2)

و هذا من باب إثارة الخلاف حول القرآن، وهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه لأنّ الله تعهّد بحفظه دون سائر الكتب السماوية التي مسّها التحريف و التبديل، و الفصل

- (1) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، أحمد سعد محمد، مكتبة الآداب 19، القاهرة مصر، ص 28.

- (2) إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي بيروت 1990م، ص 36-37.

في هذا هو قول الحق سبحانه و تعالى: ﴿وَأَتْلَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (1)

وتعدّد القراءات لا يعدّ من التبديل في كتاب الله سبحانه لأنها أمر منه لرسوله صلى الله عليه و سلم، فعن مجاهد أنّ علي رضي الله عنه قرأ: "وطلّع منضود"، وقرأ قارئ بين يديه: "وطلّح منضود" بإبدال حرف العين بجاء، فقال و ما شأن الطلح: إنما هو "و طلّع"، وقرأ "لها طلّع نضيد"، فقالوا ألا نحوّلها؟ فقال: "إنّ آي القرآن لا تهأج اليوم و لا تحوّل". (2)

و قد وصل الأمر في بعض المواقف إلى التكفير خاصة إذا تعلّق الأمر بالفرق الإسلامية التي كانت تحكمها الطائفية و التشدّد للمذهب، وهذه من بين الأسباب التي دفعت المستشرقين إلى توجيه أعلامهم ضدّ القرآن، و كان - جولد زيهر⁽³⁾ - من أبرز اللدّين طعنوا في أصل القراءات حيث قال في أحد مقالاته: "فلا يوجد كتاب تشريع اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقدياً على أنّه نصّ منزل موحى به يقدم نصّه في أقدم العصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب"⁽⁴⁾، و عدم الثّبات كما نجد في نصّ القرآن. (5)

و قد اهتم علماء الإسلام بتفسير أسباب تعدّد القراءات، فقال أبو علي الفارسي:

-
- (1) الآية (27)، سورة الكهف.
 - (2) تفسير التحرير و التنوير، الطاهر ابن عاشور، ج1، ص 53.
 - (3) Goldziher: جولد تسيهر أو جولد زيهر مستشرق ألماني (1850 م - 1921 م) له أكثر من أربعين مجلد تأثر بأستاذه تيودور ندلكه (ت 1930 م)، كما تضلّع في العربية على شيوخ الأزهر الشريف و لا سيما الشيخ محمد عبده، الترجمة من كتاب المستشرقون، نجيب العقيقي ج1، ص 906.
 - (4) الاضطراب من: تضرب الشيء و اضطرب: أي تحرك و ماج، و يقال اضطرب الحبل بين القوم إذا اختلفت كلمتهم.
 - كما ورد في لسان العرب، ابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير، دار المعارف القاهرة، ج1، ص 2565.
 - (5) القراءات في نظر المستشرقين و الملحنين، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، دار مصر للطباعة، ص 11.

"و رأس الأسباب في اختلاف القراءات هو أنّ القرآن نزل على سبعة أحرف." (1)
كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه و سلم: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ" (2).

و اختلف العلماء في شرح هذا الحديث ، فمنهم من رأى أنّ الأحرف السبعة يقصد بها اللهجات العربية المشهورة القريبة من الفصيحة آنذاك ، و منهم من قال بأنّها القراءات السبع المشهورة ، و هذا الرأي بعيد عن الصواب باعتبار أنّ القراء السبعة لم يكونوا وُجدوا بعد، و فريق آخر رأى بأنّها أوجه التغير في بناء الكلمة، و كل هذه الأوجه تحدّد القراءة والاختلاف في الفهم لا حرج فيه، ولا يعني الاختلاف في القراءات وجود تناقض في القرآن الكريم.

فقد روي عن عبد الله بن مسعود⁽³⁾ أنّه قال لأصحابه: "لا تنازعوا في القرآن، فإنّه لا يختلف، و لا يتلاشى، و لا ينفد لكثرة الرد، و إنّ شريعة الإسلام. و حدوده و فرائضه فيه واحدة، و لو كان شيء من الحرفين ينهى عن شيء يأمر به الآخر كان ذلك "الاختلاف"، و لكنه جامع ذلك كلّ...، و لقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله صلى الله عليه و سلم، فيأمرنا أن نقرأ عليه فيخبرنا أنّ كلّنا محسن، و لو أعلم أحداً أعلم بما أنزل الله على رسوله مني لطلبتّه حتى أزداد علمه إلى علمي، و لقد قرأت من لسان رسول الله صلى الله عليه و سلم سبعين سورة، و قد كنت علمت أنه يُعرض عليه القرآن في كلّ رمضان حتّى كان عام قُبُض فعُرض عليه مرّتين فكان إذا فرغ أقرأ عليه فيخبرني

- (1) الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1971، ط 1 2007-1428هـ، ج 1، ص 9.

- (2) الحديث متفق عليه، صحيح البخاري، ج 1، ص 184.

- (3) هو عبد الله و أبوه مسعود سمي في عهد النبي صلى الله عليه و سلم صاحب سر رسول الله، و قال عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من سرّه أن يقرأ القرآن رطباً كما نزل فليقرأ على قراءة ابن أمّ عبد" مسند الإمام أحمد (359/7).

أني محسن، فمن قرأ على قراءتي فلا يدعنها رغبةً عنها، و من قرأ على شيء من هذه الحروف فلا يدعنها رغبةً عنه، فإنَّه من جحد بأية جحد به كُله. (1) لقد رأى المستشرقون في تعدد القراءات اضطراباً في النص القرآني، ورأى علماءنا أنَّ هذا الاختلاف هو تعدُّد و ليس اختلافاً في ذات القرآن، لأنَّه لا توجد قراءة تنهى عما أمرت به الأخرى، و إنما هو اختلاف بين النَّاس في الأداء، و لم ينتقل هذا الاختلاف إلى ذات القرآن.

و قد فسّر الغزالي (ت505هـ) قوله تعالى: "لَوْ جَدُّوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" بقوله: "الاختلاف" لفظ مشترك بين معانٍ، و ليس المراد نفي اختلاف النَّاس فيه، بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن، أي يقال: هذا كلام مختلف، أي لا يشبه أوله آخره في الفصاحة إذ هو مختلف، أي بعضه يدعو إلى الدين و بعضه يدعو إلى الدنيا، أو هو مختلف النَّظم، فبعضه على وزن الشعر و بعضه منزه، و بعضه أسلوب مخصوص في الجزالة، و بعضه على أسلوب يخالفه، و كلام الله منزَّه عن هذه الاختلافات، فليس يشتمل على الغث و السمين، و هو مسوق لمعنى واحد في دعوة الخلق إلى الله تعالى، و كلام الآدميين يتطرق إليه هذه الاختلافات، إذ كلام الشعراء و المتراسلين إذا قيس عليه وجد فيه اختلاف في منهاج النَّظم ثم اختلاف درجات الفصاحة، بل في أصل الفصاحة حتى يشتمل على الغث و السمين، فلا تتساوى رسالتان و لا قصيدتان، بل تشتمل قصيدة على أبيات فصيحة، و أبيات سخيفة... لأنَّ الشعراء و الفصحاء "في كلِّ واد يهيمون"، فتارة يمدحون الدنيا، و تارة يذمونها، و لا ينقك كلام آدمي عن هذه الاختلافات، لأنَّ منشأها اختلاف الأغراض، و اختلاف الأحوال، و الإنسان تختلف أحواله فلا تصادف اللسان يتكلم في ثلاث و عشرين سنة فيتكلَّم على غرض واحد، و منهاج واحد، و لقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم بشراً تختلف أحواله فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوجد فيه اختلاف كثير، و أمَّا اختلاف النَّاس فهو تباين في آرائهم لا في نفس القرآن. (1)

- (1) ينظر، معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، ضبطه احمد شمس الدين، ج1/ص09.

يلمح الغزالي إلى أمرين أساسيين:

- أنه ينبغي الاختلاف عن ذات القرآن من جانب الفصاحة، و البلاغة، و النظم، و أن أسلوب القرآن على منهاج واحد من أوله إلى آخره على عكس كلام البشر.
- أن اختلاف الناس حول القرآن -في القراءات- ليس اختلافاً في ذات القرآن لأنه لا توجد قراءة تبيح ما تحرمه قراءة أخرى، و لكن هل هناك فرق بين القرآن و القراءات يجعلنا نُبعد الاختلاف عن ذات القرآن؟

1- العلاقة بين القرآن و القراءات:

لقد أثارت هذه النقطة الكثير من الجدل بين الباحثين، و منهم من يرى أنه لم يصل هذا الجدل فيها إلى نهاية حيث يقول الدكتور شعبان محمد إسماعيل: "و أعتقد أنها لن تحسم حتى قيام الساعة ذلك أنها في حقيقتها تناقض العلاقة بين "المثال" و "الواقع" بين الوحي الإلهي السماوي الغيبي، و بين تناقل هذا الوحي بلغة بشرية أرضية واقعية. لقد اتفق الجميع على أن القرآن هو "المثال"، إلا أن أذهانهم توقفت عن التسليم بطبيعة القراءات هل هي "مثال" أم "واقع"؟(2)

قرّر العلامة الشيخ أحمد بن محمد البنّا (ت 1117هـ / 1705م): "أن القرآن و القراءات حقيقتان متغايرتان". (3)، مستنداً في ذلك على تعريف هذين الوجهين (القرآن و القراءات)، و يبدو أنه قد نقل هذا النص عن الإمام الزركشي (ت 794هـ) من كتابه " البرهان في علوم القرآن" الذي قال فيه: " القرآن و القراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على النبي محمد صلى الله عليه و سلم للبيان و

- (1) ينظر البرهان في علوم القرآن، بدر الدين بن محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجليل بيروت- لبنان، ج2، ص 46-47.

- (2) إعجاز القراءات القرآنية، دراسة في تاريخ القراءات و اتجاهات القراء، صبري الأشوح، مكتبة القاهرة ص 16.

- (3) إتخاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمّى منتهى الأماني و المسرّات في علوم القراءات، أحمد بن محمد البنّا، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، ج1، ص 68.

الإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف و تثقيل و غيرهما" (1).

و لكنه يستدرك بعد ذلك بقوله: " و لست في هذا أنكر تداخل القرآن و القراءات، إذ لابد أن يكون الارتباط بينهما وثيقاً . " (2) ليقرّر قائلاً بأنّ: "القراءات سنّة مرويّة عن النبي صلى الله عليه و سلم ، و لا تكون القراءة بغير ما روي عنه" (3) إذاً فكلاهما مثال أي وحي من الله سبحانه وتعالى ، و لا يجوز الاختلاف حولهما ، كما أنّه لا يمكن الفصل بين القرآن و القراءات فهما كالجسد و الروح أو الكلمة و المعنى، و أمّا اللذين يحاولون ذلك إنّما يريدون طمس حقيقة باقية بقاء القرآن على الأرض ، و هم بهذا يفتحون المجال أمام من شحذ قلمه للطعن في الدين.

و لكن الزركشي لا يفصل في القضية فصلاً مطلقاً و هذا ما يتبيّن من خلال أرائه ، إذ يقول بأنّ القرآن هو الوحي المنزل على النبي محمد صلى الله عليه و سلم و لا خلاف في هذا ، إلاّ أنّه لا يقول عن القراءات أنّها وحي من الله بل يعتبرها اختلاف ألفاظ الوحي المذكور ، ثمّ يعود في الأخير ليقول بأنّها سنّة مرويّة عن النبي صلى الله عليه و سلم أي أنّها وحي من الله و هذا يبطل رأيه في الفصل بين الوجهين فهما متّحدين لقول الحقّ سبحانه وتعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (4)

و قد وافق الدكتور شعبان إسماعيل رأي الزركشي في العلاقة بين القرآن و القراءات للاعتبارات التالية:

1- أنّ القراءات لا تشمل كلّ كلمات القرآن.

- (1) البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين بن محمد بن عبد الله الزركشي ، ج 1 ، ص 318.

- (2) المصدر نفسه، ج 1/ص 320.

- (3) ينظر، البرهان في علوم القرآن ج 1 ، ص 322.

- (4) الآية (106)، سورة الإسراء.

2- أهما تحوي المتواتر، والآحاد، والشاذ، والنوع الأخير لا يمكن اعتباره قرآناً لأنه يفتقد إلى خاصية التواتر، إلا أنه وبعد عرضه لهذه الأدلة يعود لينهج منوال سابقه -الزركشي- و يقول: " فالواقع أنهما ليسا متغايرين تغييراً تاماً. " (1)

والحقيقة كذلك فلا يمكن الفصل بين القراءات المتواترة و القرآن لأن كليهما وحي من الله، وقد وردت أحاديث كثيرة تثبت ذلك حيث أجاز النبي صلى الله عليه و سلم لأُمَّته القراءة بما تيسر لها، و كل ما صدر عن النبي فهو وحي من الله.

لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (2)

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (3)، و القراءات هي من أساليب القرآن في التيسير على هذه الأمة.

و يقول الحق سبحانه: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۚ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (4)

وكلمة "قُرْآنَهُ" تدل على أن القراءة من الله لا اختيار من النبي صلى الله عليه و سلم، و عليه فإن القراءات القرآنية المنقولة بالتواتر عن النبي صلى الله عليه و سلم لا يجب على الناس أن يختلفوا فيها، أو أن يخضعوها لأهوائهم، أو خدمة لتوجهاتهم، لأنها إقرار منه، وكل ما أقره النبي صلى الله عليه و سلم يجب التسليم به مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ

وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (5)

و كل قراءة فقدت صفة التواتر فهي في خانة الضعف أو الإنكار.

(1) إعجاز القراءات القرآنية، دراسة في تاريخ القراءات و اتجاهات القراء، صبري الأشوح، ص 15.

(2) الآيات (2-3)، سورة النجم.

(3) الآية (17)، سورة القمر.

(4) الآيات (18-19-20)، سورة القيامة.

(5) الآية (7)، سورة الحشر.

و عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ حذيفة بن اليمان قدم إلى عثمان بن عفان (ت25هـ) رضي الله عنه، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية و أذربيجان مع أهل العراق، فأفرع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود و النصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة، أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها ثم نردّها إليك، فدعا عثمان زيد بن ثابت، و عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، و قال: إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا ذلك. " (1)

إنّ الأمر الذي أفرع حذيفة بن اليمان (ت32هـ) هو خوفه من أن يختلف الناس في ذات القرآن، و ليس في قراءته، فيكونوا كالذين قال فيهم الحق سبحانه و تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا

مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ

وَأِنْهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ (2)

وهذا دليل على أنّ القراءات القرآنية في فترة الفتوحات الإسلامية قد تعدّت حدود ما أقرّه النبي محمد صلى الله عليه و سلم بحديث الأحرف السبعة إلى أن وقّق الله سبحانه و تعالى الخليفة عثمان بن عفان إلى جمع القرآن في مصحف واحد، ونسخه، و إرساله إلى الأمصار.

و قد رأى المستشرقون في هذا الأمر ما لا يحتمله الرأي أيضاً، و أخضعوه لتأويل مغلوط، حيث ظنّ البعض منهم أنّ عثمان بن عفان رضي الله عنه أراد من وراء هذا العمل توحيد النصّ القرآني، وفي هذا قال جولد زيهـر: " و في جميع الشوط القديم للتاريخ الإسلامي لم يحرز الميل إلى التوحيد العقدي للنصّ القرآني إلا انتصارات طفيفة. " (3)

- (1) صحيح البخاري، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت252هـ)، ص992.

- (2) الآية (45)، سورة فصلت.

- (3) المذاهب الإسلامية، جولد زيهـر، ترجمة علي حسن عبد القادر، ط1 (1944م)، مطبعة العلوم بشارع الخليج، ص5.

ما يفهم من قوله أنّ المصحف العثماني إنّما كان الغرض منه توحيد قراءة الناس للنصّ القرآني، مستنداً على بعض ما قاله علماءنا، ففي نصّ لابن كثير من كتابه فضائل القرآن قال: "و قد أراد عثمان بن عفان رضي الله عنه جمع الناس على قراءة واحدة لئلا يختلفوا في القرآن." (1)

و هذا ما اعتمده **جولد زيهر** لبناء نظريته، و هو ما لا يتقبله العقل إلاّ بالدليل، و هناك من الأدلة ما يبطل ذلك .

يقول الشيخ **عبد الفتاح عبد الغني القاضي**: "إذ لم يثبت أنّ أحداً ما من المسلمين جال بخاطره، أو حدّثه نفسه بتوحيد نصوص القرآن الكريم (على قراءة واحدة)، و لو وقع لنقل إلينا لتوفر الدواعي على نقله... و إنّما الحامل عليه الرغبة في جمع المسلمين على القراءات الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم بطريق التواتر." (2)

فجولد زيهر لم يقتنع بتعدّد القراءات القرآنية، و رأى في ما قام به عثمان بن عفان عملاً فردياً حاول من خلاله تقييد القراءة، و نسخ حديث الأحرف السبعة خوفاً من انتقال الاختلاف لذات القرآن، و الصحيح هو أنّ جمع القرآن في المصحف العثماني و ضع حدّاً للقراءات التي لم تنقل عن النبي محمد صلى الله عليه و سلم في تلك الفترة فقط قبل أن تمتزج الفلسفة بالفكر الإسلامي، و تظهر مجدداً قراءات لا يحتملها رسم الخط العثماني أو لم تتوفر فيها صفة التواتر أو أنّها مخالفة لمعتقدات الأمة.

يقول **خير الدين سيّب**: "انحصرت وجوه القراءات بما تواتر موافقاً للمصحف العثماني، إلاّ أنّ ناشئة نشأت لم ترجع في قراءتها إلى المقرئين الأئمة، و إنّما اكتفت بما ينطبق على الرسم، فصار أهل البدع و الأهواء يقرؤون بما لا يحلّ تلاوته وفقاً لبدعهم." (1)

- (1) القراءات في نظر المستشرقين و الملحدين، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، ص 19.

- (2) القرآن و القراءات و الأحرف السبعة، عبد الغفور محمود جعفر، دار السلام، ج 1، ط 1، 2007م، ص 71.

- (1) القراءات القرآنية نشأتها، أقسامها، حجّيتها، خير الدين سيّب، دار الخلدونية، الجزائر العاصمة، ص 62.

و لكن لماذا فهم البعض تعدّد القراءات على أنّه اختلاف أو اضطراب في النصّ القرآني؟

2- الفرق بين الاختلاف و التعدّد:

- الاختلاف في نظر "ابن مسعود": لو كان شيء من الحرفين ينهي عن شيء يأمر به الآخر.
- الاختلاف في نظر "حذيفة بن اليمان": هو قراءة النّاس القرآن بوجه كاد ينقل الاختلاف إلى ذات القرآن كاختلاف اليهود و النصارى.
- الاختلاف في نظر "الغزالي": لفظ مشترك بين معانٍ، ويقال هذا كلام مختلف أي لا يشبه أوله آخره، فبعضه يدعو على الدّين و بعضه يدعو إلى الدنيا، أو هو اختلاف في النّظم.
- الاختلاف عند "جولد زيهر": هو اضطراب و عدم ثبات النصّ القرآني، و بنى هذا المفهوم على اختلاف القراءات.

أمّا الاختلاف في اللغة: فهو ضدّ الاتفاق. (1)

و إذا قلنا اختلاف القراءات فهذا يدعو بالضرورة إلى تصوّر أنّه لا علاقة بين القراءات المتواترة، و لا اتفاق بينها، و أنّ لكل منها استقلالية عن الأخرى و هذا ما ظنّه البعض ممن فاضل بين القراءات، ولم يحط بالمعاني الجليّة التي تبرز من الجمع بينها، فقد يحمل التعدّد في الأداء معنى واحد، فيتساءل المرء ما الغاية من هذا؟، و غايته مراعاة الحالة النفسية والقدرة التعبيرية للقارئ، و قد نجد في قراءة توضيح لقراءة أخرى، أو أنّ في قراءة حكم متمم لحكم في قراءة أخرى. إذاً فهناك تكامل بين القراءات المتواترة، و هذا التكامل لا يجب التعبير عنه بمصطلح "الاختلاف".

أمّا "التعدّد" فهو يعبر عن التساوي في مراتب القراءات المتواترة عن النّبي صلى الله عليه و سلم في الفصاحة، و البلاغة، و البيان، و القبول عند النّاس، كما يعبر على التكامل بينها في التصوير و إيصال المعنى المراد من الحقّ سبحانه وتعالى دون استقلالية، يقول السيوطي: "إنّ تعدّد القراءات بمنزلة تعدّد الآيات." (2)

- (1) موسوعة كشاف الاصطلاحات و العلوم، محمد علي التهنوي، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان، ج1، ص 117.

- (2) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ج1، ص 84.

فالقراءات القرآنية كالموشور الضوئي الذي يحلّل أطراف الكلمة القرآنية باسماً معانيها. و هذا اللّغظ الذي أثاره أعداء القرآن حول القراءات في الداخل و الخارج إنّما سببه جهل من قلّت معرفته بتاريخ القرآن و القراءات و أصلها من جهة، و سوء توجيهها و ضبطها من جهة أخرى، حتى ظنّ البعض أن أصل القراءات إنّما سببه احتمال الخطّ العثماني لأوجه عديدة من القراءة حيث قال جولد زيهر: " و ترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخطّ العربي الذي يقدّم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة، تبعاً لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته، وعدد تلك النقاط، بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية، يدعو اختلاف الحركات الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدّده، إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة، و بهذا إلى اختلاف دلالتها، و إذن فاختلاف هيكل الرسم بالنقط، و اختلاف الحركات في الحصول الموحد للقلب من الحروف الصامتة، كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نصّ لم يكن منقوفاً أصلاً. " (1)

و قال المستشرق برتزل: "إنّ الرسم القديم هو الذي أدى إلى اختلاف طائفة من القراء، لأنّ الكلمة المكتوبة بالرسم القديم ربما احتملت قراءتين أو أكثر. " (2)

و من الباحثين العرب من نهج هذا المنهج، فكان يعزو تعدّد القراءات إلى طبيعة الخطّ العربي القديم و هذا الأمر يحمل في طياته أبعاداً لا تخدم علم القراءات كما أنّها تثير الشبهات حول قدسية النصّ القرآني، و منهم من رأى أنّ القراءات القرآنية إنّما هي نتاج اختلاف اللهجات، و ليست وحياً من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم.

يقول طه حسين: "والحق أن ليست هذه القراءات السبع من الوحي في قليل و لا كثير، و إنّما هي قراءات مصدرها اللهجات. " (3)

و قول طه حسين يطرح أمامه عدّة إشكاليات حول حقيقة القراءات القرآنية و إذا كان الأمر كما يقول، فهذا يعني أنّه لا أصل للقراءات القرآنية، مما يدعو إلى النظر في المسار التاريخي لها انطلاقاً من حديث رسول الله الموسوم "بالأحرف السبعة".

- (1) مذاهب التفسير الإسلامي، أجنس جولد زيهر، ص 7.

- (2) أصل القراءات القرآنية بين حقائق التاريخ و دعاوى المبطلين، غانم قدوري الحمد، ص 7.

- (3) في الأدب الجاهلي، طه حسين، مطبعة فاروق، ط 3، 1933م، ص 103.

المبحث الثاني

الأحرف السبعة بين الإثبات و
النسخ.

ارتبط تاريخ القراءات القرآنية بتاريخ القرآن، فهما حقيقتان متلازمتان سارتا معاً في كل مرحلة من المراحل التي شهدت قيام دولة الإسلام، و تبليغ الرسالة الربّانية بتبليغ القرآن الكريم، والذي كان في أول الأمر محفوظاً في الصدور و ما كُتب على العُشب، و الكرايف، و اللّخاف، و الرّقاع، و قطع الأديم، و عظام الأكتاف و الأضلاع، وكلّ ما تيسّر و صلح الكتابة عليه.

و قد روي عن زيد بن ثابت (ت45هـ) رضي الله عنه أنّه قال: "أرسل إلي أبو بكر (ت13هـ) يوم مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب (ت23هـ) عنده، قال أبو بكر إنّ عمر بن الخطاب أتاني فقال: إنّ القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن، و إنّني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، و إنّني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ قال عمر: هذا و الله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتّى شرح الله صدري لذلك، و رأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال أبو بكر: إنّك رجل شاب عاقل لا نتهمك، و قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه و سلم، فتتبع القرآن فاجمعه. فو الله لو كلّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه و سلم؟، قال هو و الله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتّى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر و عمر، فتتبع القرآن أجمعه من العُشب، و اللّخاف، و صدور الرّجال حتّى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدّها مع أحدٍ غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية 128 التوبة، حتّى خاتمة براءة، فكانت الصُّحف عند أبي بكر حتّى توفاه الله، ثمّ عند عمر حياته، ثمّ عند حفصة بنت عمر. (1)

إنّ الأمر الذي كلّف به أبو بكر زيدا بن ثابت ليس كتابة القرآن، فقد كان مكتوباً

- (1) صحيح البخاري، باب جمع القرآن، ج1، ص 183.

في عهد النبي صلى الله عليه و سلم، و ما يبرّر ذلك قوله: «لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُو» (1) متفق عليه.

و إنّما أمره بالجمع فقط، و هي نفس الصُّحف التي طلبها عثمان بن عفان رضي الله عنه من حفصة بنت عمر بن الخطاب لينسخها في المصاحف بنفس الخطّ العربي المعروف آنذاك، و الفرق واضح بين ما قام به أبو بكر و ما فعله عثمان، فالأول جمع القرآن خوفاً من ضياعه، و الثاني نسخه في المصاحف خوفاً من اختلاف النّاس فيه بقراءات لم تتواتر عن النبي صلى الله عليه و سلم.

يقول أبو عبد الله المحاسبي (165هـ-243هـ) في كتابه "فهم السنن": كتابة القرآن ليست محدثة، فإنّهُ صلى الله عليه و سلم كان يأمر بكتابه، و لكنه كان مفرقاً في الرّقاع، والأكتاف، و العُصب، و إنّما أمر الصّدّيق بنسخها من مكان إلى مكان، و كان ذلك بمنزلة أوراق وُجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم، فيها القرآن منتشر، فجمعها جامع، و ربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء. (2)

وكذلك نهج عثمان بن عفان سبيل أبي بكر، فهو لم يستحدث مصحفاً من عنده و لا برأيه، و إنّما نقل ما كان في الصُّحف التي جمعها زيد بن ثابت و نسخها في المصاحف و لكن اختلفت الدوافع و الأساليب. يقول أبو بكر الباقلاني (ت304هـ): "لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، و إنّما كان قصده جمعهم على القراءات الثابتة عن النبي صلى الله عليه و سلم، و إلغاء ما ليس كذلك، و أخذهم بمصحف لا تقدّم فيه و لا تأخير و لا تأويل أثبت مع تنزيل، و لا منسوخ تلاوته كُتب مع مُثبت رسمه و مفروض قراءته و حفظه، خشية دخول الفساد و الشُّبهة على من يأتي بعد." (3)

إنّ قول الباقلاني يضعنا أمام المبادئ الأساسية التي اعتمدها المصحف العثماني وهي:

- 1- أنّ المرجع الرئيسي الذي اعتمده عثمان بن عفان في كتابة المصاحف هو الصحائف التي جمعها زيد بن ثابت بأمر من أبي بكر بعد إشارة عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين يقول الدكتور شعبان إسماعيل: "ومن الثابت أيضاً أنّ المصاحف التي نسخها عثمان بن عفان رضي

- (1) رواه البخاري و مسلم و النسائي و ابن ماجة، (صحيح مسلم، ج6، ص30).

- (2) الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج1، ص58.

- (3) المصدر نفسه، ص134.

الله عنه كانت موافقة للصحف التي نسخها أبو بكر و معلوم أنّها لم تكن على حرف واحد. "(1)، أي أنّها احتوت الأحرف التي نصّ عليها حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و يقول الزرقاني (1367هـ): "المصاحف التي نسخها عثمان بن عفان رضي الله عنه من الصحف كان مجموعها مشتملاً على الأحرف السبعة، و من المتفق أنّ هذه الصحف كتب فيها القرآن بحروفه السبعة التي نزل عليها." (2)

2- أنّ الذي أشرف على كتابة هذه المصاحف شخص خبير وهو زيد بن ثابت رضي الله عنه، و هو نفسه الذي جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

3- أنّ المصحف العثماني لم يكن محاولة لتوحيد النصّ القرآني كما زعم بعض الباحثين، و إنّما كان جامعاً للنّاس على القراءات المتواترة.

4- أنّ المصاحف العثمانية احتملت كلّ القراءات التي تواترت عن النبي صلى الله عليه و سلم بعد العرضة الأخيرة كتابةً و بالتالي احتمالها للأحرف السبعة.

ولكنّ بعض العلماء يرون عكس ذلك تماماً إذ قالوا أنّ المصاحف العثمانية نسخت حديث الأحرف السبعة و بالتالي فهي تشتمل على حرف واحد.

يقول أبو محمد المالكي المعروف بالمالقي (ت 705هـ): "إنّ القراءات التي يجب على المسلمين وجوباً المحافظة عليها، ليست هي الأحرف و المرادفات التي كانت تقام بعضها مكان بعض قبل العرضة الأخيرة للقرآن، و التي كانت إقامتها لضرورة ماسة انتهى وقتها عند هذه العرضة، و إنّما هي القراءات التي يحتملها مصحف عثمان، المقتصر على حرف قريش، و هي ثابتة عن النبي صلى الله عليه و سلم." (3)

ويقول ابن التّين: "جمع عثمان للقرآن كان ناسخاً له على حرف واحد من الحروف السبعة، حتى جمع المسلمين على مصحف واحد، و حرف واحد، يقرؤون به دون ما عداه من الأحرف الستة الأخرى." (4)

- (1) رسم المصحف و ضبطه بين التوقيف و الاصطلاحات الحديثة، شعبان إسماعيل، دار السلام، ص 22.

- (2) مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني، تحقيق فؤاد أحمد زملي، دار الكتاب العربي، ط1 (1415هـ-1995م)، القاهرة، ج1، ص 149.

- (3) شرح كتاب التيسير للداني في القراءات، أبو محمد المالكي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 2003م، ص 07.

- (4) تاريخ القرآن الكريم، محمد سالم محيسن، دار الأصفهاني للطباعة، جدة السعودية، ص 159.

و هذا التضارب في الأقوال لا يفضي إلى حقيقة قد تفيد الباحث ، فما زالت هذه القضية تراوح سطور البحث و الدراسات في مجال القراءات القرآنية دون فصل فيها أو الخروج بنتيجة صحيحة يتخذها الباحث كنقطة انطلاق لبحثه تحوّل للوصول إلى نتائج تعتبر كمسلمات لا تحمل النقاش أو الجدل.

1- الأحرف السبعة:

تعددت روايات حديث "الأحرف السبعة" بتعدد المواقف و الحالات و الرواة ، فعن ابن عباس رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: « أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَرِيدُهُ وَ يَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ. » (1)

و في حديث "أبي" أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "إِنَّ رَبِّي أَرْسَلَ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوَّنَ عَلَى أُمَّتِي، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ: أَنْ أَقْرَأَ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوَّنَ عَلَى أُمَّتِي، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ: أَنْ أَقْرَأَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ." (2)

و أخرج الإمام أحمد و الطبراني من حديث أبي بكر: "أَنَّ جِبْرِيلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، قَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَرِدُّهُ... حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ، قَالَ: كُلُّ شَافٍ كَافٍ مَا لَمْ تَخْتِمْ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ، أَوْ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ، نَحْوَ قَوْلِكَ تَعَالَ وَ أَقْبِلْ وَ هَلُمَّ وَ ادْهَبْ وَ عَجِّلْ وَ أَسْرِعْ." (3)

و في حديث آخر رواه البخاري أنّ المِسْوَر بْنَ مَخْرَمَةَ ، و عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ الْقَارِيِّ سمعا عمر بن الخطاب يقول: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ بْنَ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقَرِّئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ ، فَلَبَّيْتُهُ بِرِدَائِهِ فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ ، قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ ، فَأَنْطَلَقْتُ بِهِ أَقْوَدُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ ، فَقُلْتُ لِي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقَرِّئْنِيهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: أَرْسَلَهُ، إِنْ يَأْتِيكَ هِشَامٌ ، فَقَرَأْ الْقِرَاءَةَ الَّتِي

- (1) صحيح البخاري (3219)، صحيح مسلم (1902)، مسند الإمام أحمد (2717).

- (2) رواه مسلم (1904).

- (3) مسند الإمام أحمد 146/34.

الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ»، ثُمَّ قَالَ إِفْرَأْ يَا عُمَرُ، فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ»، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَأَقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ.» (1)

و عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أَنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَ بَطْنٌ، وَ لِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ.» (2)

و قد اختلف العلماء في تحديد المقصود من هذه الأحرف اختلافاً لا نكاد نلمس فيه تقارباً يرشدنا إلى المعنى الحقيقي لها، جمعها جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) في كتابه الإتيقان، و أهم هذه الأقوال و أقربها إلى الحقيقة:

أ- أُنْهَاجُ سَبْعِ لُغَاتٍ (لهجات) اختلف العلماء أيضاً في تحديدها وذهب إلى هذا الرأي أبو عبيد، و ثعلب، و الأزهري فقالوا أُنْهَاجُ: قريش، و هذيل، و ثقيف، و كنانة، و تميم، و هوزان، و اليمن.

و قال البعض خمس لغات من أكناف هوزان: سعد، و ثقيف، و كنانة، و هذيل، و قريش، و لغتان على جميع ألسنة العرب.

ب- أُنْهَاجُ سَبْعَةِ أَوَاجِهٍ لِلتَّعَدُّدِ جَمْعُهَا ابْنُ الْجَزَرِيِّ فِي قَوْلِهِ: " وَ لَا زِلْتَ أُسْتَشْكَلُ هَذَا الْحَدِيثُ، وَ أَفْكَرُ فِيهِ، وَ أَمَعْنُ النَّظَرَ مِنْ نَيْفٍ وَ ثَلَاثِينَ سَنَةً حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيَّ بِمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ صَوَاباً إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَ ذَلِكَ أَنِّي تَتَبَعْتُ الْقِرَاءَاتِ صَحِيحَهَا، وَ شَاذَهَا، وَ ضَعِيفَهَا، وَ مَنْكَرَهَا، فَإِذَا هُوَ يَرْجِعُ اخْتِلَافُهَا إِلَى سَبْعَةِ أَوَاجِهٍ مِنَ الْاِخْتِلَافِ لَا يُخْرِجُ عَنْهَا وَ ذَلِكَ إِمَّا فِي الْحَرَكَاتِ بِلا تَغْيِيرٍ فِي الْمَعْنَى وَ الصُّورَةِ (بنية الكلمة)، نَحْوُ (البخل) بِأَرْبَعَةِ أَوَاجِهٍ، وَ (يَحْسِبُ) بِوَجْهَيْنِ، أَوْ بِتَغْيِيرٍ فِي الْمَعْنَى فَقَطْ نَحْوُ (فَتَلْقَى أَدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ)، (وَ أَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَةٍ وَ أُمَةٍ)، وَ إِمَّا فِي الْحُرُوفِ بِتَغْيِيرٍ فِي الْمَعْنَى لَا الصُّورَةَ نَحْوُ (تَبَلَّوْا، تَتْلَوْا)، أَوْ عَكْسَ ذَلِكَ نَحْوُ (بَسْطَةً وَ بَسْطَةً)، أَوْ بِتَغْيِيرِهَا نَحْوُ: (أَشَدَّ مِنْكُمْ وَ مِنْهُمْ)، وَ إِمَّا فِي التَّقْدِيمِ وَ التَّأْخِيرِ نَحْوُ: (فَيَقْتُلُونَ وَ يَقْتُلُونَ)، أَوْ فِي الزِّيَادَةِ وَ النِّقْصَانِ نَحْوُ:

- (1) أخرجه البخاري (2419).

- (2) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة و النشر، ج1، ص22.

(و أوصى، و وصّى) فهذه سبعة أوجه لا يخرج الاختلاف عنها، و أمّا نحو اختلاف الإظهار و الإدغام، و الروم و الإشمام، و التفخيم و الترقيق... فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ و المعنى. (1)

و ذهب إلى هذا الرأي الإمام أبو الفضل الرازي (ت606هـ) قال: "إنّ القرآن لا يخرج اختلافه عن سبعة أوجه الأول اختلاف الأسماء من الأفراد و التشية و الجمع و التذكير و التأنيث و المبالغة و غيرها، و الثاني اختلاف تصريف الأفعال و ما يسند إليه من نحو الماضي و المضارع و الأمر و الإسناد إلى المذكر و المؤنث و المتكلم و المخاطب و الفاعل و المفعول به، و الثالث وجوه الإعراب، الرابع الزيادة و النقص، الخامس التقديم و التأخير، السادس القلب و الإبدال في كلمة بأخرى و في حرف بآخر، السابع اختلاف اللغات من فتح و إمالة و ترقيق و تفخيم و تحقيق و تسهيل و إدغام و إظهار و نحو ذلك. (2)

اتفق الإمامين الرازي و ابن الجزري حول ماهية الأحرف السبعة و اعتبراً أنّها تلك التغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة في جميع مستوياتها الصوتية، و الصرفية، و التركيبية سواءً صاحب هذا التغير تغييراً في المعنى أو لا، و قد كان الإمام الرازي أكثر تفصيلاً من ابن الجزري كما أنّه جعل الأداء الصوتي من الأحرف التي نصّ عليها الحديث ممهّداً لثورة في علم الدلالة الصوتية، و يعتبر هذا الفهم و التفسير لحديث الأحرف السبعة من أهم الأقوال و أقربها إلى الحقيقة كونه يجمع في طياته كلّ المتعلقات التي ترتبط بهذا الحديث.

إنّ اختلاف فهم العلماء لحديث الأحرف السبعة و مدى البعد الشاسع الذي خلقه هذا التباين حوله يضعنا أمام عدّة إشكاليات و أهمها صعوبة الفصل في قضية إثبات أو نسخ هذا الحديث في المصاحف العثمانية.

قال محمد بن سعدان الكوفي النّحوي المقرئ (ت231هـ): "معنى قول النّبي صلى الله عليه و سلم أنزل القرآن على سبعة أحرف مُشكل لا يُدرى معناه. (3)

- (1) ينظر، النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج1، ص26.

- (2) المصدر نفسه، ص27.

- (3) القرآن و القراءات و الأحرف السبعة، عبد الغفور محمود جعفر، ص71.

وقال السيوطي: "و المختار عندي أنّه من المتشابه الذي لا يدري تأويله." (1)

إنّ هذه الأقوال لا تنطبق على ما كان في عهد النبي محمد صلى الله عليه و سلم و الخلفاء الراشدين، و معنى الأحرف لم يكن يوماً من المتشابه أو المشكل في ذلك الزمن، و لو كان كذلك لسأل الصحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم عن مقصودها، بدليل أنّه لم يرد في ضوء أحاديث الأحرف السبعة أو غيرها أنّ أحداً منهم سأل رسول صلى الله عليه و سلم عن معناها، أمّا الأمر المشكل فهو من خلق الأذهان التي تشبعت بالفلسفة محاولة الابتعاد عن الحقيقة فوقع بهذا الالتباس، و هذا ليس طعناً فيما وصل إليه العلماء أو تجريحاً لهم، فاختلافهم رحمة، و كل من اجتهد في شرح الحديث كان ينظر إليه من زاوية معينة فرضتها الروايات المختلفة و التي لم تمكنه من الإحاطة بالزوايا الأخرى، التي لو اجتمعت في نظرة ثلاثية الأبعاد لرسمت لنا الصورة الحقيقية للأحرف السبعة.

و لا نريد بهذا الترجيح تفضيل أو تغليب قول على آخر، و لكننا إذا ما ربطنا هذا الحديث بحلقته الزمكانية و الشخصيات التي ارتبطت به لقادنا ذلك إلى اختيار قول من أقوال العلماء لنجعله نقطة انطلاق للبحث.

فلو نظرنا في الحديث الذي رواه الإمام البخاري، و تدبرنا الحادثة التي وقعت بين عمر بن الخطاب رضي الله عنه و هشام بن حكيم، و نظرنا فيما يلزم النظر فيه لتجلّت لنا الحقائق التالية:

1- الاختلاف وقع بين صحابيين من قبيلة واحدة (قريش).

2- الاختلاف كان في قراءة سورة الفرقان.

فالحقيقة الأولى تضع الرأي الأول في معنى الحديث على أنّه اللهجات العربية في خانة الضعف، بدليل أنّ عمر بن الخطاب و هشام بن حكيم كلاهما من قريش، فكيف يترك أحدهما ما تعود عليه لسانه و سهل عليه تلاوته لينتقل إلى لهجة أخرى قد يستصعبها، فالأحرف السبعة كان الغرض منها التهوين و تسهيل القراءة على الأمة بما تعود عليه لسانها، و إذا أقرأ رسول الله صلى الله عليه و سلم أحدهما بلهجة

- (1) القرآن و القراءات و الأحرف السبعة، عبد الغفور محمود جعفر، ص71.

تخالف لهجته فهذا يبطل الغرض من الأحرف السبعة، ولو كانت هذه الأحرف كما رآها البعض هي التعبير على المعاني المشتركة بألفاظ مختلفة نحو هَلَمْ و أَقْبَل فما هو مصدر هذه الاختلافات في الإعراب، والإبدال، والتقديم، والتأخير وغيرها من الأوجه المترددة بين القراءات؟

أما الحقيقة الثانية فتدعو بالضرورة إلى تدبر سورة "الفرقان" وإحصاء جميع التغيرات التي اقتضتها القراءات الواردة فيها، وقد تتبعت هذه القراءات صحيحها، و ضعيفها، ومنكرها مستنداً في ذلك على المنهج الذي اعتمده ابن الجزري، فوجدتها لا تخرج عن الأوجه التالية، وهي إن لم تحوي جميع الأحرف السبعة فستجمع بعضها، والبعض يقرب إلى المعنى المراد:

1- أوجه التعدد الواردة في سورة الفرقان:

أ- المستوى الصوتي:

- إدغام و إظهار.
- فتح و إمالة.
- مدّ وقصر.
- همز و تسهيل.

ب- المستوى الصرفي:

- إبدال في الحركات نحو: نُشْرًا، نُشْرًا، نُشْرًا، (نَشَقُّ)، (تَشَقُّق، تَشَقُّق)
- إبدال في الحروف نحو: (تستطيعون، يستطيعون)، (نشراً، بشراً)
- بين الجمع و الأفراد نحو: (الرياح، الريح). (سُرج، سراجاً).
- الإثبات و الحذف نحو: (نُنْزِلُ الملائكة، نُزِّلُ الملائكة).

ولم تخرج أوجه التعدد في هذه السورة عن هذه التغيرات وهذا يحيلنا إلى تغليب الرأي الذي رآه ابن الجزري و الرازي، وإن اختلفا في تصنيفها، ولو بنينا قطعاً بأن هذه الاختلافات هي المعنوية في حديث الأحرف السبعة فهي أوجه يحتملها الرسم العثماني، وما لم يحتمله كالزيادة و النقصان، و التقديم و التأخير فهي منتشرة في المصاحف التي أرسلها عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الأمصار مراعيّاً في ذلك ما تعود عليه لسان

ذلك المصر فمثلاً: "نُزِّلَ و نُنَزِّلُ، فهي في المصحف المكي بنونين و في غيره بواحدة، و كذلك (الريح) بالألف في بعض المصاحف و بغير الألف في البعض الآخر، و كذلك في سورة الكهف (خيراً منها) في مصاحف أهل البصرة و الكوفة، و (خيراً منهما) على التثنية في مصاحف مكة و المدينة و الشام، و في الشعراء (وتوَكَّل) في مصاحف الكوفة و البصرة، و كتبت (فتوَكَّل) في مصاحف المدينة و الشام." (1)

و عليه يجب التسليم بأنَّ عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يحاول من خلال العمل الدِّي قام به أن يوحّد النّص القرآني (على قراءة واحدة)، و هذا رداً على من زعم بذلك، كما أنّه لم ينسخ حديث الأحرف السبعة بل اتبع منهجاً مميّزاً يعبر عن مدى الاهتمام البالغ الدِّي أولاه الصحابة رضوان الله عليهم بكتاب الله و سنة نبيّه محمد صلى الله عليه و سلم، يقول أبو عمرو الدّاني: "و أنّ أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه و من بالحضرة من الصحابة قد أثبتوا جميع تلك الأحرف في المصاحف و أخبروا بصحتها." (2)

و يقول أيضاً: "و أنّه لم يسقط شيئاً من القراءات الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لا منع منها، و لا حظر القراءة بها، إذ ليس إليه، و لا إلى غيره أن يمنع ما أباحه الله تعالى و أطلقه." (3)

يقول الدكتور عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي: "نزل القرآن على سبعة أحرف قد ثبت بنصّ شرعي و لا نسخ بعد وفاة النبي صلى الله عليه و سلم و لذا فإنّه لا يمكن أن يجتمع الصحابة على ترك شيء مما ثبت عن النبي صلى الله عليه و سلم." (4) كما أنّ الحافظ أبو يعلى الموصلي روى في مسنده الكبير أنّ عثمان بن عفان رضي الله عنه قال يوماً و هو على المنبر: "أذكر الله رجلاً سمع النبي صلى الله عليه و سلم يقول: «إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ».

-
- (1) ينظر، كتاب المصاحف، أبو بكر السجستاني (ت316هـ)، تحقيق محب الدين واعظ، دار البشائر الإسلامية، ط1 (1415هـ-1995م)، ط2 (1423هـ-2002م)، ج1، ص247.
 - (2) الأحرف السبعة للقرآن، أبو عمرو الداني، تحقيق عبد المهيمن طحان، دار المنارة، ط1، ص60.
 - (3) المصدر نفسه، ص63.
 - (4) الأحرف القرآنية السبعة، عبد الرحمن المطرودي، دار عالم الكتب، ط1 (1411هـ-1991م)، ص86.

لما قام، فقاموا حتى لم يُحصوا فشهدوا أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ» ، فقال عثمان رضي الله عنه "و أنا أشهد معكم." (1)

فكيف بمن يشهد على صحة هذا الحديث ويُشهد الناس على ذلك أن يقوم بنسخه أو نسخ بعضه مقيماً على نفسه بالحجة، فعثمان رضي الله عنه وجمع الصحابة اللذين ولّاهم كتابة المصاحف توخوا إثبات هذه الأحرف و لم يتركوا منها شيئاً كما زعم بعض العلماء و الباحثين، و قد تساءل البعض عن الأحرف التي لا يحتملها الرسم العثماني والتي هي موزعة في المصاحف كيف احتملتها الصحائف التي جمعها زيد بن ثابت بأمر من أبي بكر رضي الله عنه و هي نسخة واحدة.

يقول الدكتور عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي: "إِنِّي لَا أَفْهَمُ كَيْفَ احْتَوَتْ صَحَائِفَ أَبِي بَكْرٍ عَلَى الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ وَ هِيَ مَدُونَةٌ وَاحِدَةٌ بَيْنَ دَفْتَيْنِ" (2)

و هذا التساؤل منطقي لأنّ المصاحف العثمانية هي نسخة عن هذه الصحائف كما سبق و أشرنا إلى ذلك، و بعض الأحرف لا يمكن أن يحتملها مصحف واحد كالزيادة و النقصان مثلاً، لذلك لا يجب القول أنّ عثمان بن عفان أثبت جميع الأحرف في مصحف واحد.

يقول الدكتور محمد سالم محيسن: "وليس معنى ذلك أن كلّ مصحف بمفرده كان مشتملاً على جميع الأحرف السبعة بل المقصود أنّها كانت في مجموعها مشتملة على الأحرف السبعة التي نزلت على النبي صلى الله عليه و سلم." (3)

و قال العلامة أبو عمرو الداني: "فإن سأل سائل عن السبب الموجب لاختلاف مرسوم هذه الحروف الزوائد في المصاحف؟ قلت: السبب عندنا أنّ أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه لما جمع القرآن في المصاحف و نسخها على صورة واحدة و أثر في رسمها لغة قريش دون غيرها، مما لا يصح و لا يثبت، نظراً للأمة، و احتياطاً لأهل الملة، وثبت له أنّ هذه الحروف من عند الله كذلك منزلة، ومن رسول الله صلى الله عليه

- (1) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج1، ص21.

- (2) الأحرف القرآنية السبعة، عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، ص86.

- (3) تاريخ القرآن الكريم، محمد سالم محيسن، ص159.

وسلم كذلك مسموعة، وعلم أنّ جميعها في مصحف واحد على تلك الحال غير متمكّن إلا بإعادة الكلمة مرتين، و في رسم ذلك كذلك من التخليط و التغيير ما لا خفاء به ففرّقها في المصاحف، لذلك جاءت مثبتة في بعضها و محذوفة من بعضها." (1)

إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تحوي نسخة واحدة للمصحف جميع أوجه التغيّرات المندرجة تحت الأحرف السبعة على خلاف بعض الأوجه الأخرى التي يمكن إثباتها في مصحف واحد، وهذا خلافاً لما قاله بعض العلماء و الباحثين الذين رأوا بأنّ الصحائف التي جمعت في عهد أبي بكر الصديق، و التي كانت عند حفصة بنت عمر بن الخطاب، و هي المرجع الذي اعتمده عثمان بن عفان رضي الله عنه في نسخ المصاحف أنّها كانت تحوي جميع الأحرف.

يقول الدكتور علي بن سليمان العبيد: " اتسم جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق بعدة سمات من أبرزها: اشتماله على الأحرف السبعة التي ثبتت في العرصة الأخيرة." (2)

و لكن يمكن القول بأنّ القرآن كان مكتوباً في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم على الأحرف السبعة، يقول الزرقاني: " و صفوة المقال أنّ القرآن كان مكتوباً كلّهُ على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و كانت كتابته ملحوظاً فيها أن تشمل الأحرف السبعة التي نزل عليها." (3)

و هذا لأنّ كتاب الوحي في عهد النبي صلى الله عليه و سلم كانوا أكثر، و ربما كتب كل واحد منهم على ما وافق الحرف الذي كان يقرأ عليه، أما في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه فهذا غير ممكن و لا متمكّن في نسخة واحدة، إلاّ أنّه يمكن القول بأنّ الصحائف التي جمعها زيد بن ثابت رضي الله عنه كتبت على ما ثبت بالعرضة الأخيرة على قراءة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، و بعض الأحرف كانت مثبتة قراءة لا كتابةً في هذه الصحائف، أمّا في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه فهي مثبتة كتابةً و قراءةً

- (1) رسم المصحف و ضبطه بين التوقيف و الاصطلاحات الحديثة، شعبان إسماعيل، ص 29.

- (2) جمع القرآن الكريم حفظاً و كتابة، علي بن سليمان العبيد، ص 49.

- (3) مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني، ج 1، ص 248.

ولو تدبرنا قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (1)

لوجدنا فيه تجسيداً لمرحلتين مثلتا تاريخ القرآن و القراءات.

1- المرحلة الأولى: تعبّر عنها كلمة "جَمْعُهُ" وهي تمثل العمل العظيم الذي قام به أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين أمر زيد بن ثابت بتتبع القرآن وجمعه في الصحائف.

2- المرحلة الثانية: تعبّر عنها كلمة "قُرْآنُهُ"، التي تشير إلى العمل الجليل الذي قام به عثمان بن عفان رضي الله عنه حين جمع القراءات المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم بإثبات الأحرف السبعة وتوزيعها في المصاحف التي أرسلها إلى الأمصار و هي كالاتي:

- 1 زيد بن ثابت رضي الله عنه كان معه المصحف المدني.
- 2 عبد الله بن السائب (ت70هـ) مع المصحف المكي.
- 3 المغيرة بن أبي شهاب المخزومي (ت91هـ) مع المصحف الشامي.
- 4 أبو عبد الرحمن السلمي (ت73هـ) مع المصحف الكوفي.
- 5 عامر بن عبد قيس مع المصحف البصري.

و تعتبر هذه الأمصار التي خصّها عثمان بن عفان رضي الله عنه بإرسال المصاحف إليها أقطاباً للدولة الإسلامية آنذاك، و منبع لعلم جديد يسمى علم القراءات ،و كان الصحابة اللذين حملوا المصاحف العثمانية و ساروا بها إلى هذه الفجاج علماء و متخصصين في هذا العلم رأى فيهم عثمان بن عفان أهلاً لهذه المهمة الجليلة مصداقاً لقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا

كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ

لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (2)

ومنهم تعلّم أئمة القراء واشتهروا بالإقراء، فكان طلبة العلم يضربون أكباد الإبل إليهم للأخذ عنهم، وهكذا بدأت حركة انتشار القراءات في كل الأقطار وفق منهج النقل

- (1) الآية (17)، سورة القيامة.

- (2) الآية (122)، سورة التوبة.

و التواتر ، وكان من الصحابة المقرئين :

1- عثمان بن عفان رضي الله عنه وتلمذ على يديه الكثير منهم: المغيرة بن أبي شهاب المخزومي (ت91هـ).

2- علي بن أبي طالب رضي الله عنه تلمذ على يديه أبي عبد الرحمن السلمي (73هـ)، أبي الأسود الدؤلي (ت69هـ)، و عبد الرحمن بن أبي ليلى (ت83هـ).

3- أبي بن كعب رضي الله عنه وهو من كتّاب الوحي و الحقاظ لكتاب الله في حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم أخذ عنه عبد الله بن عباس، و أبو هريرة ، و أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنهم أجمعين.

4- زيد بن ثابت رضي الله عنه وكان ممن أخذ عنه: أبو هريرة ، عبد الله بن عباس، عبد الله بن عمر، أنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين.

5- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أخذ عنه: علقمة بن قيس، الأسود بن يزيد النخعي، مسروق بن الأجدع، أبو عبد الرحمن السلمي.

6 أبو موسى الأشعري أخذ عنه: سعيد بن المسيّب، حطان الرقاشي، أبو الرجاء العطاردي. (1)

وظهر جيل جديد من التابعين ممن تجرّدوا للقراءة و ضبطها حتى اشتهروا بها و صارت القراءة تعرف بأسمائهم موزعين كالآتي:

1- في المدينة:

كل من: ابن المسيّب، وعروة بن الزبير، وعمر بن عبد العزيز، و سليمان بن يسار، و زيد بن أسلم ، و ابن شهاب الزهري، و عبد الرحمن بن هرمز، ومعاذ بن الحارث.

2- في مكة المكرمة:

كل من: مجاهد ، و طاوس ، وعكرمة ، و ابن أبي مليكة ، وعبيد بن عمير، و غيرهم.

3- في البصرة:

كل من: عامر بن عبد القيس، و أبو العالية، و نصر بن عاصم، و يحيى بن يعمر، و جابر بن الحسن، و ابن سيرين وغيرهم.

- (1) انظر: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ج1، ص15، النشر في القراءات العشر، ج1، ص7.

4- في الكوفة:

كل من: علقمة بن قيس النخعي، وأبو عبد الرحمن السلمي، والأسود بن يزيد النخعي، وسعيد بن جبير، وعمر بن شرحبيل، وعمرو بن ميمون، والحارث بن قيس وغيرهم.

5- في الشام:

كل من: المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب مصحف عثمان، وأبو الدرداء، وخالد بن السعيد، وغيرهم.

المبحث الثالث

القراءات بين التوقيفية و التوفيقية.

1- بين الأحرف و القراءات:

إنّ نزول القرآن الكريم على الأحرف السبعة المبينة سابقاً وعلى الأوجه التي صنفها ابن الجزري و الرازي، يضع القراءات القرآنية بين قطبي التوقيفية و التوفيقية، و التوقيف عموماً يكون بالكتاب، و السنة، و الإجماع، و الاستقراء، و الاستدلال، و القياس و إن كان هذا الأخير ينافي تماماً حقيقة التوقيف إذ لا قياس مع التواتر، و الأحرف القرآنية توقيفية: "أي تعليمية يتوقف جواز القراءة بها على تعليم الشارع و إذنه في ذلك، بأن تُسمع من لسانه، أو يأذن في استعمالها." (1)

بدليل ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنّه قال: «أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَ بَطْنٌ، وَ لِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ.»

أما القراءات فهي أمر آخر يختلف عن الأحرف، " فهذه الأخيرة هي الأوجه التي نزل عليها القرآن، أما القراءات فهي كيفية أداء كلمات القرآن مع نسبة كل وجه لناقله من القراء أو الرواة (نسبة إلى النبي) وبالتالي فهي جزء من الأحرف." (2)

يقول الدكتور شوقي ضيف: " لم يفكر ابن مجاهد في أن ينفرد لنفسه بقراءة يشتهر بها و تعرف به، و لو فكر لاستطاع في يسر أن يتميز بقراءة يختارها من قراء الأئمة، و ليكن مثلاً نافع أساسها، ثم يتركه إلى حروف يختارها من لدن قراء آخرين يخالفه فيها، و بذلك يصبح صاحب قراءة منفردة متميزة." (3)

حيث سأل رجل ابن مجاهد قائلاً: لما لا يختار الشيخ لنفسه حرفاً يُحمل عنه؟ فقال: نحن أحوج إلى أن نعمل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا أحوج منا إلى اختيار حرف يقرأ به من بعدنا." (4)

- (1) القرآن و القراءات و الأحرف السبعة، عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، دار السلام للطباعة و النشر القاهرة، الطبعة الأولى، المجلد الأول، ص 195.

- (2) ينظر، علم القراءات- مفهومه، نشأته، مصدره، أقسامه و مدارسه، منصور كافي، دار العلوم للنشر و التوزيع، ص 19.

- (3) إعجاز القراءات القرآنية، صبري الأشوح، ص 111.

- (4) معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأمصار، شمس الدين ابن عثمان الذهبي، تحقيق طيار آلي قولاج اسطنبول 1995م، ج 2/ ص 537.

يضعنا ابن مجاهد و الدكتور شوقي ضيف أمام المنهج الذي اعتمده بعض القراء للتمييز بقراءة يُعرفون بها، و هو منهج "الاختيار"⁽¹⁾ الذي يعتمد بالدرجة الأولى على المزج بين القراءات و الانتقال بين الأحرف. وقد عرّفه الدكتور عبد الهادي الفضلي بقوله: " نستطيع أن نعرّف الاختيار بأنه: الحرف* الذي يختاره القارئ من بين مرويّاته مجتهداً في اختياره." (2)

ويعرّفه محمد الهرري بقوله: "و الاختيار في اصطلاح القرّاء: أن يختار القارئ من بين قراءاته و مرويّاته التي أتقنها ليدّوم عليها ويلّازمها و يُعرف بها و تؤخذ عنه، فتنسب إليه قراءة معيّنة." (3) كما أشار إليه أبو الفضل الرازي (ت 606هـ): " أنزل القرآن على سبعة أحرف ، و أنّ النّاس إنّما ثمنوا القراءات و عشّروها و زادوا على العدد سبعة لأجل هذه الشبهة، و لو اجتمع عدد لا يحصى من الأئمة فاختر كل واحد منهم حروفاً بخلاف صاحبه وجرّد طريقاً في القراءة على حدى في أي مكان كان و في أي أوان أراد بعد الأئمة الماضين بشرط الاختيار لما كان ذلك خارجاً عن الأحرف السبعة المنزلة." (4)

يفتح قول الرازي الباب أمام توسع القراءات و زيادة عددها و يضع شرطاً واحداً و هو عدم خروجها على الأحرف السبعة ، و هذه الحدود يضبطها حديث النبي صلى الله عليه و سلم: « أَنْزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا ظَهَرٌ وَ بَطْنٌ، وَ لِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ. »

ويقول مكّي بن أبي طالب القيسي (355-437هـ): "وهؤلاء اللذين اختاروا، إنّما قرؤوا بقراءة الجماعة وبروايات ، فاختر كل واحد مما قرأ و روى قراءة تُنسب إليه بلفظ الاختيار." (5)

- (1) الاختيار لغة: الاصطفاء و الانتقاء يقول ابن منظور: خيّر بمعنى فضّله.

* كان من المفروض أن يقول (الوجه) الذي يختاره القارئ بدلاً من قوله (الحرف) لأن الوجه جزء من الحرف.

- (2) القراءات القرآنية تاريخ و تعريف، عبد الهادي الفضلي، دار القلم بيروت، الطبعة الثانية، ص 105.

- (3) القراءات التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره و الرد عليه من أول القرآن إلى آخر سورة التوبة، محمد عارف عثمان موسى الهرري، الطبعة الأولى (1406هـ)، ص 136.

- (4) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ج 1، ص 42-43.

- (5) الإبانة عن معاني القراءات، مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شليبي، دار النهضة مصر، ص 100.

وعليه فإنّ منهج الاختيار يوازن بين القطبين، التوقيف على الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، و التوفيق في اختيار وجه من الأوجه التي يحكمها الأداء، و يقع هذا الأخير (الاختيار) أيضاً على محورين:

أ- المحور الأول: و هو الأسبق، اختيار طريقة الأداء على مستوى الحرف ذاته مثلاً: نشرّاً تقرأ بأربعة أوجه، بضم النون (نُشراً) و(نُشراً)، و بفتحها (نَشراً)، و بإبدال النون بباءً (بُشراً) بشرط أن تكون هذه الأوجه مما روي و لا اجتهداد في هذا كأن يُضيف القارئ وجهاً آخر لا أصل له في الرواية.

ب- المحور الثاني: و هو الاختيار على مستوى القراءات، فيختار القارئ إماماً يأخذ عنه قراءته التي عرف بها، و يتبعه في اختياراته فيكون راويةً لا إماماً في القراءة.

من خلال ما سبق يتبين لنا أنّ الاختيار على المحور الأول باب مفتوح ولجه بعض الأئمة و امتنع البعض الآخر كابن مجاهد عن دخوله، و هو نتيجة حتمية فرضتها تلك الحرية التي أتاحها حديث النبي صلى الله عليه و سلم، فالصحابه رضوان الله عليهم اختاروا من بين القراءات التي سمعوها من النبي صلى الله عليه و سلم قراءة عُرفوا بها كقراءة ابن مسعود، و قراءة أبيّ، و قراءة زيد.

ولكن هؤلاء الأئمة اختاروا و هم بين ظهري النبي صلى الله عليه و سلم و كلّهم عرض قراءته عليه و أجاز له القراءة بها، فهل تُرك باب الاختيار مفتوحاً؟ و إن كان كذلك فلماذا امتنع بعض المشايخ عن الاختيار واكتفوا بأن يكونوا رواة لا أئمة في القراءة؟

إنّ الإجابة على هذا السؤال تكمن في السر الذي أدى إلى كثرة القراءات و تشعبها و انفلاتها من العقال الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث رأى بعض الأئمة أنّ الأولوية للإتباع وحفظ قراءات الصحابة المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يأخذ حديث الأحرف السبعة منحى آخر يتجاوز ما شرع لأجله.

و لكن هناك من الرواة -الذين صاروا فيما بعد أئمة- من أخذ قراءته من عدّة مشايخ و أئمة في القراءة و كلّ منهم يميّز بوجه خاص به في الأداء أي وجه من الأوجه التي حدّتها الأحرف السبعة المبيّنة سابقاً و قام بالمزج بينها فخلص إلى قراءة جعلته إماماً، يقول الباحث أمين بن إدريس بن عبد الرحمن: "إنّ هؤلاء الرواة مختلفون في

تحمّلهم و أدائهم، فهذا أخذ عن شيخ قراءة معينة، ثمّ أخذ عن شيخ آخر قراءة أخرى، و عن ثالث ثالثة، و عن رابع رابعة، و هكذا... و ربّما اتّبع الآخذ الأمر الوارد في الحديث بإباحة القراءة على أي وجه من الأحرف السبعة، فاختار مقرأً معيناً، من مجموع ما رواه، و لزم طريقة جديدة في القراءة تنسب إليه. (1)

و هذا ما لحظناه عندما تكلمنا عن تلاميذ أئمة القراء من الصحابة رضوان الله عليهم، فأبو عبد الرحمن السلمي الذي كان إماماً في الكوفة تتلمذ على يد علي بن أبي طالب، و أبي بن كعب، و عبد الله بن مسعود، وكذلك الأمر بالنسبة لعبد الله بن عباس حيث نجده تتلمذ على يد أبي بن كعب، و زيد بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين.

فتعاقب الأجيال على القراءات جعلها طريقاً كثير الشعب وكلّها تلتقي عند حديث النبي صلى الله عليه و سلم الذي أجاز تعدّدها، فبعد جيل الصحابة و التابعين ظهر جيل جديد من المقرئين و هم موزعين كالآتي:

بالمدينة: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ثمّ شيبه بن نصاح، ثمّ نافع بن نعيم.

و كان بمكة: عبد الله بن كثير، و حميد بن قيس الأعرج، و محمد بن محيصن.

و بالكوفة: يحيى بن وثاب، و عاصم بن أبي النجود، و سليمان الأعمش، ثمّ حمزة، ثمّ الكسائي.

وكان بالبصرة: عبد الله بن أبي إسحاق، و عيسى بن عمر، و أبو عمرو بن العلاء، ثمّ عاصم الجحدري، ثمّ يعقوب الحضرمي.

و كان بالشام: عبد الله بن عامر، و عطية بن قيس الكلابي، و إسماعيل بن عبد الله بن المهاجر، ثمّ يحيى بن الحارث، ثمّ شريح ابن يزيد الحضرمي.

و لكن هذه القراءات لا بد لها من ضوابط تضع حدوداً لمنهج الاختيار حتى لا يتجرأ كل من هبّ و دبّ على الخوض في هذا العلم الجليل، و قد اجتهد العلماء في وضع هذه الشروط حتى تكون القراءة صحيحة يجوز القراءة بها، و أي قراءة لم تستوفي هذه الشروط ردّها العلماء و صنفوها ضمن القراءات الشاذة التي لا يجوز القراءة بها.

- (1) رسالة ماجستير بعنوان: الاختيار عند القراء مفهومه، مراحل، و أثره في القراءات، أمين بن إدريس، ص 75.

المبحث الرابع

مقاييس قبول القراءة

1- جهود العلماء في ضبط القراءات:

كما سبق و أشرنا فإنّ توسع الدولة الإسلامية مدّ حاجة النّاس إلى من يعلمهم أمور دينهم، و كان القرآن المصدر الرئيس الذي اعتمد عليه العلماء استناداً إلى السنّة النبويّة، و من بين هؤلاء الذين حملوا الراية و ركبوا أقدامهم متزوّدين مما نقلوا عن النّبي صلى الله عليه و سلم "القراء"، و هم اللّذين تخصصوا في علم القراءات و أمضوا حياتهم في خدمة القرآن و علومه، لكنّهم كانوا درجات في الإتقان و طريقة النقل فمنهم من أخذ القراءة روايةً أي أن يأخذ القارئ عن شيخه حروف الخلاف فقط دون أن يختم عليه ختماً كاملاً، و يعبر القراء عنه في أسانيدهم بقولهم: حدّثنا أو أخبرنا، و منهم من أخذ القراءة روايةً و هذا الوجه أقوى في الصّحة و يكون بقراءة الطالب على شيخه ختماً كاملاً بتلك القراءة بعينها لأنّ القراءة لا تحكمها إلّا المشافهة، فكان منهم المتقن وغير المتقن يقول الإمام ابن الجزري (ت833هـ) في هذا الباب: "ثمّ إنّ القراء كثروا و تفرّقوا في البلاد و انتشروا و خلفهم أمم بعد أمم، عرفت طبقاتهم، و اختلفت صفاتهم، فكان منهم المتقن للتلاوة المشهور بالرواية و الدراية، و منهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف، و كثر بينهم لذلك الاختلاف، و قلّ الضبط، و اتسع الخرق، و كاد الباطل يلتبس بالحقّ، فقام جهابذة الأئمة، و صناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد، وبيّنوا الحقّ المراد وجمعوا الحروف و القراءات، و عزوا الوجوه و الروايات، و ميّزوا بين المشهور و الشاذ، و الصحيح و الفاظ، بأصول أصّلوها، و أركان فصّلوها." (1)

أشار ابن الجزري إلى الأصول التي اعتمد عليها علماء القراءات في ضبط هذا العلم مبيناً السبب الرئيسي الذي دفعهم إلى الاجتهاد، و توجيه أقدامهم نحو ترسيخ قواعد قويّة يعتمد عليها الطالب في علم القراءات، كما أنّها تضع حدّاً للخروق التي فتحها التصريح بالاختيار الذاتي الناجم عن مكتسبات ثقافية أدت إلى الخلط بين القراءات الصحيحة و القراءات الشاذّة، ولا غنى للقارئ إلّا الاعتماد على هذه الأسس حتى لا يشوب تلك القراءة إنكار على جميع المستويات فكم من قراءة أنكرها بعض علماء النحو و اللغويين، و لكنّ إنكارهم غير مبرّر كونه يعتمد على القياس الذي يسقط مع قوة النقل و الرواية، و قد خلق هذا الأمر جدلاً واسعاً بين العلماء نظراً لاختلاف توجهاتهم والخلفيات المعتمدة لديهم، و لم يقتصر هذا الاختلاف على قبول القراءة أو ردّها

- (1) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، تحقيق، محمد الصّباغ، دار الكتب العلميّة بيروت لبنان، ج1، ص9.

و إنما تعدى ذلك إلى المقاييس المعتمدة في القبول و الردّ ، و هذا الأمر يحيلنا إلى أنّ السبب الرئيسي في عدم الاتفاق على عدد القراءات الصحيحة هو الاختلاف في هذه المقاييس ، فكلّ عالم جعل مبررات لنظريته مصنفاً للقراءات وفق متطلبات الباب الذي ولج منه ، فالنحوي يقبل ما يوافق النحو و يردّ ما يخالفه و إن كان قوياً في الصحة ، و الفقيه قد يرفض قراءة تخالف حكماً من الأحكام و إن كان الغرض منها التهوين على الأمة ، و يدلي **النسيري** بدلوه قائلاً : "الرجوع في الجواز و عدم الجواز (في قبول القراءات و ردّها و غير ذلك) إنما هو لأئمة الفقه الذين يفتون في الحلال و الحرام." (1)

وهذا ما حدث في عهد النبي صلى الله عليه و سلم حين كان بعض الصحابة إذا سمعوا قراءة تخالف قراءتهم يتعجبون و يردّونها حتى يتحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فيقبلها إن وافقت ما جاء به و يصوّبها إن خالفت ذلك ، و لكن هذا الحكم كان في عهد النبي صلى الله عليه و سلم و هو الحاكم الذي لا يُردّ حكمه ، و الحكم الثاني هم الصحابة رضوان الله عليهم فهم الفقهاء لأنهم أخذوا عن النبي صلى الله عليه و سلم ، يقول الدكتور **عبد الغفور محمود مصطفى** : "قراءة الصحابي المقرئ مقبولة ، فإن سألت من الذي يحكم بقبولها ؟ قلت هو الذي بإقراءه و تلاوته التعبدية يحكم بأثما تقبل و لا وجه للرجوع إلى غيره في الفتوى و الفقه." (2) ، و الحكم الثالث بعدهم هم القراء أنفسهم ، و هذه هي أهم التصنيفات التي وضعها علماء القراءات حيث قال الإمام **جلال الدين البلقيني** : "القراءة تنقسم إلى متواتر ، و آحاد ، و شاذ." (3)

2- تصنيف القراءات:

1- المتواتر:

"هو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه ، و غالب القراءات كذلك." (4)

وهي سبع قراءات و المقصود بالجمع هم الثقات من الصحابة و التابعين و من تبعهم .

- (1) القرآن و القراءات و الأحرف السبعة ، عبد الغفور محمود مصطفى جعفر ، ص 647.

- (2) المرجع نفسه 646.

- (3) الإتيان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، ص 163.

- (4) المصدر نفسه ، ص 166.

2- المشهور: "هو ما صحّ سنده و لم يبلغ درجة التواتر ،و وافق العربية و الرسم،و اشتهر عند القراء، فلم يعدّوه من الغلط و لا من الشذوذ"(1)

3- الآحاد: "الذي فقد فيه التواتر "(2)، أو هو ما صحّ سنده و خالف الرسم أو العربية، أو لم يشتهر الاشتهار المطلوب ،ومن ذلك ما رواه ابن عباس أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قرأ: "لقد جاءكم رسول من أنفُسكم" بفتح الفاء.

4- الشاذ: "هو ما لم يصحّ سنده" (3)، كقراءة (إياك يُعبد) ببائيه للمجهول.

3- جهود ابن الجزري في ضبط القراءات:

يقول ابن الجزري: "كلّ قراءة وافقت العربية و لو بوجه ،و وافقت أحد المصاحف العثمانية و لو احتمالاً ،فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ،و لا يحلّ إنكارها ،بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ،و وجب على النَّاس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة ،أم عن العشرة ،أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختلّ ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذّة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أو عمّن هو أكبر منهم." (4)

و قراءة الأئمة السبعة التي تعتبر أساس الصّحة منقسمة إلى مجمع عليه و شاذّ يقول الإمام أبو شامة المقدسي (599-665هـ): "إنّ القراءة المنسوبة إلى كلّ قارئ من السبعة و غيرهم منقسمة إلى المجمع عليه و الشاذّ، غير أنّ هؤلاء السبعة لشهرتهم و كثرة الصحيح المجمع عليه في قراءتهم تركن النفس إلى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم." (5)، و لكن قول ابن الجزري يضع أمامنا أسساً جديدة في قبول القراءة وردّها.

أ- موافقة العربية و لو بوجه: يقول ابن الجزري: "فقلنا في الضابط (ولو بوجه) نريد به وجهاً من وجوه النحو ،سواء كان أفصح أم فصيحاً، مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضّرّ، إذا كانت القراءات مما شاع و ذاع، و تلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح إذ هو

- (1) الإتقان في علوم القرآن ،جلال الدين السيوطي، ص166.

- (2) تحبير التيسير لابن الجزري في القراءات، تحقيق عبد الفتاح القاضي ،دار الكتاب العربي، ص216.

- (3) الإتقان، ص167.

- (4) النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ج1 ص9.

- (5) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة المقدسي ،دار وقف الديانة أنقرة، تركيا، ص158.

الأصل الأعظم والركن الأقوم." (1)

و هذا ما أشار إليه الداني بقوله: "إذا ثبتت الرواية لم يردّها قياس عربية و لا فشو لغة."

ب- موافقة أحد المصاحف: قال ابن الجزري: "و نعي به ما كان ثابتاً في بعض المصاحف دون بعض، كقراءة ابن عامر: (قالوا اتخذ الله ولداً) البقرة -166- بغير واو، و قراءة (و بالزبر و بالكتاب) آل عمران -184- بإثبات الباء فيهما، فإنّ ذلك ثابت في المصحف الشامي...، فإن لم تكن في شيء من المصاحف العثمانية فشاّد لمخالفتها الرسم المجمع عليه." (2)

و الموافقة تكون:

إمّا احتمالاً أي تقديراً كقراءة: (ملك يوم الدين)، فإنّها كتبت في جميع المصاحف بلا ألف.

وإمّا تحقيقاً كقراءة (تعلمون) بالتاء و الياء، و هذا نظراً لتجرّد الكتابة في عهد الصحابة من النقط.

ج- صحة السند: يقول ابن الجزري: "و نعي به أن يروي تلك القراءة العدل الضابط." (3)

لقد وضع ابن الجزري بقوله و تفصيله الذي أجاز فيه و وافقه أغلب العلماء و استندوا إليه في تصنيف القراءات و قبولها أو ردّها منهجاً يبين على مدى استيعابه لهذا العلم، منهجاً وضع حداً لأي خرق قد يفكر فيه من تخوّل له نفسه ذلك، حيث جمع فيه بين الأركان الأساسية التي تضع أي قراءة إمّا في خانة الصحة و القبول، أو الضعف و الردّ، و قد جمعها في قوله:

و كان للرسم احتمالاً يحوي	فكلّ ما وافق وجه نحو
فهذه الثلاثة الأركان	و صحّ إسناداً هو القرآن
شذوذه لو أنّه في السبعة. (4)	و حيثما يختل ركن أثبت

- (1) النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ج 1، ص 10.

- (2) ينظر، المصدر نفسه، ج 1، ص 11.

- (3) نفسه، ج 1، ص 12.

- (4) طيبة النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى، ص 32.

و هذه الأركان منها واحد هو الأصل (صحة السند)، أما الركنين الآخرين فيلحقان به لأن صحة السند تلغي القياس، فمن العلماء من حاول إخضاع القراءات لقوانين هي في الأصل وضعية و ليست مرجعاً أساسياً و لا أصولاً يجب أن لا تخالف، ومن يعتقد بذلك فقد تعدى على قدسية القرآن و القراءات في حدّ ذاتها، ومن يردّ قراءة لأنها تخالف قاعدة نحوية فيحكم عليها بالضعف فقد ردّ آية من آيات القرآن الحكيم، و لكن من العلماء من لم يكتف بصحة السند و اشترط في ذلك التواتر، يقول ابن الجزري: "و قد اشترط بعض المتأخرين التواتر لقبول القراءة و لم يكتف بصحة السند." (1)

4- القراءة بين التواتر و صحة السند:

جعل بعض العلماء التواتر شرطاً من شروط صحة القراءة استناداً إلى تعريف القرآن الكريم "المنقول إلينا بالتواتر"، و التواتر كما عرّفه البغدادى: "هو نقل جماعة عن جماعة تحيل العادة تواطؤهم على الكذب من أول سند إلى منتهاه." (2)

ولكن ابن الجزري يرى خلاف ذلك حيث يقول: "و إذا اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الأئمة السبعة و غيرهم و لقد كنت أجنح إلى هذا القول ثمّ ظهر فساده." (3)

كما يرى الطاهر ابن عاشور أنّ الشروط الثلاثة الأولى التي رآها ابن الجزري كافية لأن تجعل القراءة صحيحة، و إن لم تكن متواترة، حيث يراها بمنزلة الحديث الصحيح، أما القراءة المتواترة فهي حجة في اللغة العربية يقول الشيخ: "و إنّ المصحف الإمام ما رسموه إلّا إتباعاً لأشهر القراءات المروية من زمن النّبي صلى الله عليه و سلم، و قراءة أصحابه، فإن حفظ القرآن في صدور القراء أقدم من كتابته في المصاحف، و ما كتب في أصول المصاحف إلّا من حفظ الكاتبين، و ما كتب المصحف الإمام إلّا من مجموع محفوظ الحفاظ." (4)

و يرى أبو شامة المقدسي ما يراه الشيخ الطاهر بن عاشور و الإمام ابن الجزري إذ

- (1) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج1/ص13.

- (2) في علوم القراءات مدخل و دراسة و تحقيق، رزق الطويل، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ص49.

- (3) النشر في القراءات العشر، ج1/ص13.

- (4) التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج16/ص143.

يقول: " لا يشترط التواتر في القراءات، و يكفي ثبوت القراءة بالنقل الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، فتكفي الأحاد الصحيحة و موافقة خط المصحف، فكل قراءة ساعدها خط المصحف مع صحة النقل فيها و مجئها على الفصح من لغة العرب فهي قراءة معتبرة" (1)

إنّ تواتر أي قراءة يجعلها صحيحة و مرجعاً أساسياً للقراء و أئمة التفسير ، و لا يلزم معه الشرطان الآخران (موافقة خط المصحف - موافقة العربية) لأنّ مقامها مقام الأحاديث الصحيحة التي لا يمكن لأي كان أن يطعن فيها، يقول ابن الجزري: "إنّ التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الآخرين من رسم أو غيره." (2) و نقل عن الجعبري⁽³⁾ قوله: "أقول الشرط واحد و هو صحة النقل و يلزم الآخران." (4)

ومن هنا يظهر الفرق فيما قرره ابن الجزري من شروط سابقة فمع التواتر لا يشترط موافقة خط المصحف و موافقة العربية ، و أما مع صحة السند أي انتهاء القراءة إلى الرسول صلى الله عليه و سلم أي أن يروي تلك القراءة العدل الضابط مثل ما عرّفه ابن الجزري مع غياب التواتر، ففي هذه الحالة يجب الرجوع إلى الشرطين السابقين، ومثال على ذلك قول الحق سبحانه وتعالى: "قَالُوا إِن هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ تُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى" (5)

فأما عن قراءة أبو عمرو (68هـ - 154هـ): "إِنَّ هَذَيْنِ" بتشديد النون و ياء بعد الذال، فقال القرطبي (671هـ) "هي مخالفة للمصحف و لكن ذلك لا يطعن فيها لأنّ روايتها صحيحة و هي توافق وجهاً مقبولاً في العربية." (6)

- (1) الإمام محمد الطاهر بن عاشور و منهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير و التنوير، محمد بن سعد بن عبد الله القرني، ص38.

- (2) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج1/ص13.

- (3) إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل بن العباس (ت732هـ) - ينظر غاية النهاية ج1/ص21.

- (4) القراءات عند ابن جرير الطبري في ضوء اللغة و النحو، ج1/ص80

- (5) الآية (63)، سورة طه.

- (6) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار،

الكتاب العربي بيروت لبنان، ط5 (1423هـ - 2003م)، ج11/ص195.

هذا و الأمثلة على ذلك كثيرة، و لكن المجال الذي لعب دوراً أساسياً في توجيه القراءات القرآنية وتصنيفها هو النحو الذي كان بمثابة قانون المرور رغم تجاوزه للحدود في بعض المسائل، فالمفروض هو أن يستمد هذا الأخير ضوابطه من القرآن لا من الأوساط الأدبية كالشعر و النشر ثم يقيس عليها، و هذا هو السبب في حدوث الصدام بين القراءات و النحو في عديد النقاط و حتى بين النحويين أنفسهم ممثلين في مدرسة البصرة والكوفة.

يقول الدكتور أحمد بن محمد الخراط: " و قد بذل النحاة جهداً فائقاً لخدمة القرآن بمختلف قراءاته المتواترة و الشاذة، فوجهوها بالتعليل المستند إلى الأصول المعتمدة عندهم، و استشهدوا على ذلك بالشواهد الفصيحة التي جمعوها من البوادي عبر رحلاتهم العلمية المديدة و قد استندوا إلى هذه القراءات في تأصيل قواعدهم، و إرساء معالم الصناعة النحوية و الصرفية، و ضبط مفردات اللغة." (1)

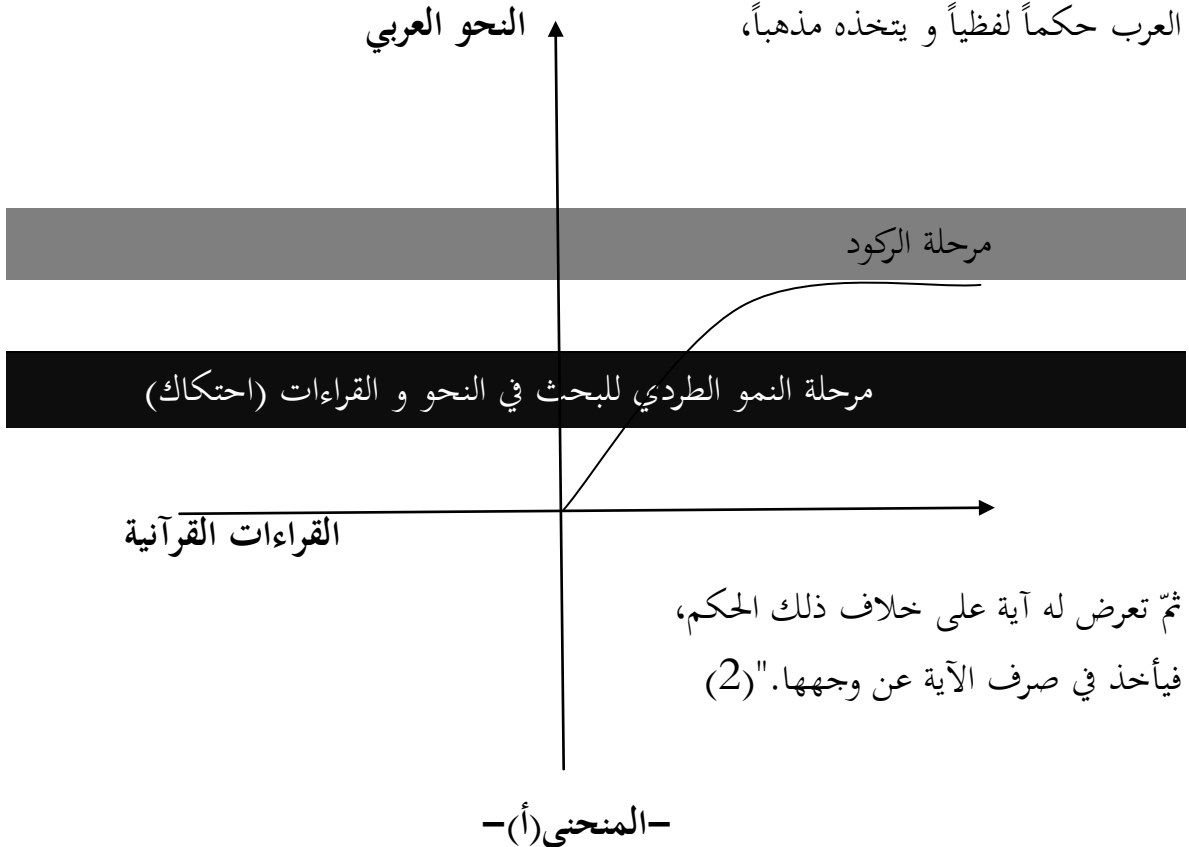
- (1) عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، أحمد بن محمد الخراط، ص 54.

المبحث الخامس

القراءات في ضوء القواعد الصارمة للنحو.

عرفت الدراسات النحوية تطوراً كبيراً بعد ربطها بعلم القراءات لأنّ أغلب القراء كانوا نحويين كأبي عمرو بن العلاء و عيسى بن عمر الثقفي و يونس و الخليل، فقد شغلت القراءات أذهانهم، يقول الدكتور عبد العال سالم مكرم: "و لعلّ اهتمامهم بهذه القراءات وجههم إلى الدراسة النحوية و اللغوية ليلاءموا بين القراءات و العربية، بين ما سمعوا و رووا من القراءات و بين ما سمعوا و رووا من كلام العرب." (1)

و على إثر ذلك نشأت مدرستان لكلّ توجهها و أصولها من باب الاستدلال بالقراءات، فأما المدرسة البصرية فكانت لا تحتج بالقراءات إلّا في القليل النادر لأنها بنت قواعد نحوها على ما أثر من كلام العرب و الشعر محاولة بذلك إخضاع ما نقل بالرواية الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم لقواعدها وفق ما يتناسب مع أصولها و يتناسق مع مقاييسها، فكان منهجها منكراً، و قد عجب "ابن حزم" من منطق البصريين إزاء القراءات قائلاً: "من النحاة من ينتزع من المقدار الذي يقف عليه من كلام العرب حكماً لفظياً و يتخذ مذهباً،



(1) أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ط2 (1417هـ - 1996م)، ص10.

(2) أصول النحو، سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، الطبعة الثانية، ص29.

وقال في موضع آخر: "ولا عجب أعجب ممن إن وجد لامرئ القيس، أو لزهير، أو لجريز، أو للحطيئة،... أو من سائر العرب لفظاً في شعر أو نثر جعله في اللغة و قطع به، و لم يعترض فيه، ثم إذا وجد لله تعالى خالق اللغات و أهلها - كلاماً لم يلتفت إليه، ولا جعله حجة، و جعل يصرفه عن وجهه و يحرفه عن موضعه." (1)

يقول الدكتور إبراهيم السامرائي: "لقد اعتمدوا لغة التنزيل (مدرسة البصرة) ، و لكنهم ضيقوا في هذا أشد الضيق، فلم يأخذوا بقراءات عدّة و هي شيء في العربية ، و لها أساس في لغات العرب." (2)

تعليق على المنحنى البياني:

يمثل المنحنى (أ) مرحلتين مرّب هما النحو العربي و في نفس الوقت نقاط تصادمه مع القراءات، و هذه النقاط تمثل بُعد القراءات أو قُرْبها من قواعد النحو، فعندما احتك النحو بالقراءات القرآنية شهد حركة تطور كبيرة على جميع المستويات وحدث العكس عندما اتخذ قواعده قانوناً تسير عليه القراءات ،ويمكن تلخيص المراحل التي مرّ بها النحو العربي كما يلي:

أ- النحو الوصفي: أين استمد هذا العلم (النحو) حقيقته من الوسط الشعبي المتمثل في المصدرين الرئيسيين للأدب العربي و هما الشعر و النثر ، و لما كثر اللحن بسبب مخالطة العرب للعجم و سائر الثقافات الأخرى توجه علماء العربية و خاصة النحويون - مدرسة البصرة و الكوفة- إلى وضع حدّ لهذه التجاوزات التي تهدم لغة القرآن، ومن هنا بدأ ما يسمى بالتفعيد فاتخذت كلّ مدرسة طريقاً لبناء هذه القواعد.

ب- النحو التعليمي: أين صار النحو العربي مجرد قواعد يعود إليها المتعلّم حتى لا يقع في الخطأ من غير تجاوز، و لكن لما تعدى الأمر إلى كتاب الله عزّ وجلّ و مسّ القراءات القرآنية هنا في هذه النقطة وقع الصدام بين النحو و القراءات، النحو ذو الطابع البشري الذي لا يمكن اعتباره مسلمة لأنّه واقع و ليس مثلاً، و القراءات التي اعتبرناها في السابق مثلاً لأنّها وحي من الله سبحانه و تعالى كما أنّها تمثل أصول اللغة العربية

- (1) ينظر، أصول النحو، سعيد الأفغاني، ص 29.

- (2) المدارس النحوية أسطورة و واقع، إبراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر و التوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، (1987م)، ص 22.

وماهيتها، فقد جمعت اللهجات العربية و أفرغتها في مشكاة من نور تمثلت في القرآن الكريم و لا أحد يجرؤ مهما أوتي من العلم أن يردّ قراءة من القراءات الصحيحة لأنها تخالف قاعدة استمدها من الشعر أو النثر، و هذا الصدام لم يخدم النحو العربي و لا القراءات بل خلق مرحلة ركود جعلت طالب النحو يعيش في دوامة من الاضطرابات في الآراء و الأفكار وجعلت قارئ القرآن يُخضع لسانه لقراءة واحدة ملغياً القراءات الأخرى و هذه بعض المسائل التي تمثل الصدام الحاصل بين القراءات و النحو أو بين من جعلوا القرآن مرجعاً لأصولهم و بين من جعلوا كلام العرب في مقدّم أولوياتهم. ومن بين المسائل التي تعطي طابع التشدد في المسائل النحوية بين البصرة و الكوفة وقوع **إِلَّا** بمعنى **الواو**

ذهب الكوفيون إلى أنّ **(إِلَّا)** تكون بمعنى **(الواو)** و احتجوا بقوله تعالى: **"وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۚ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ (إِلَّا) الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"** (1)

أي **"و لا اللذين ظلموا منهم"**، و أيدوا حجتهم بقراءة بعض القراء **"إلى اللذين ظلموا"** مخففاً بمعنى **"مع اللذين ظلموا منهم"** و قالوا إنّ **(إلى)** تعني **(مع)** و احتجوا بقوله تعالى: **"من أنصاري إلى الله"** أي مع الله، و قوله تعالى: **"و لا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم"** أي مع أموالكم، ولكن نحاة البصرة نقضوا هذا الدليل و قالوا: و أما قراءة من قرأ **"إلى اللذين ظلموا منهم"** بالتخفيف، فإن صحّ و سلم لكم ما ادعيتموه على أصلكم من أن تكون **(إِلَّا)** المخففة بمعنى **(مع)** فليس لكم حجة على أنّ **(إِلَّا)** تكون بمعنى **(الواو)** لأنه ليس من الشرط أن تكون إحدى القراءتين بمعنى الأخرى و إذا اعتبرتم هذا في القراءات وجدت الاختلاف في معانيها كثيراً جداً، و هذا مما لا خلاف فيه، و إذا ثبت هذا فيجوز أن تكون قراءة **(إِلَّا)** بالتخفيف بمعنى **(مع)** و ليس **(الواو)**، و قراءة **(إِلَّا)** بالتشديد بمعنى **(لكن)**. (2)

- (1) الآية (150)، سورة البقرة.

- (2) أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم، ص 60.

و قد لا تمثل هذه القاعدة موضع الخلاف بين الكوفة و البصرة، بين قواعد الواقع و قطعية المثال و لكن إذا نظرنا إلى دليل البصريين وجدناه يعتمد على مرجع مسبق يمثل ضابطاً نحوياً لا يمكن مخالفته في رأيهم، و يمكن توضيح ذلك من خلال الخلاف الواقع حول توجيه قراءة أهل الشام في قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ^ط وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ^ط فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ" (1)

قال الطبري (224-310هـ): "قرأ أهل الشام 'زَيْنَ' بضم الزاي، و 'قتل' بالرفع، و 'أولادهم' بالنصب، و 'شركائهم' بالخفض، و المعنى (و كذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم) ففرقوا بين الخافض و المخفوض، و ذلك في كلام العرب قبيح غير فصيح... و القراءة التي لا أستجيز غيرها 'زَيْنَ' بفتح الزاي، و نصب 'قتل' بوقوع الفعل زَيْنَ عليه، و خفض 'أولادهم' بإضافة القتل إليهم و رفع 'شركائهم' لأنهم هم الذين زينوا للمشركين قتل أولادهم على ما ذكرت من التأويل." (2)

و يدلي الزمخشري بدلوه في هذه الآية قائلاً: "قتل أولادهم شركائهم" برفع 'قتل'، و نصب 'أولاد' و خفض 'شركائهم' بإضافة القتل إلى الشركاء، و الفصل بينهما بغير ظرف. ثم قال عن ابن عامر صاحب هذه القراءة: و الذي حملة على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف 'شركائهم' مكتوبةً بالياء، و لو قرأ بجر 'أولادهم' و 'شركائهم'، لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب." (3)

وفي قوله تعالى: "يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً^ج وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ"

- (1) الآية (137)، سورة الأنعام.

- (2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة و النشر، الطبعة الأولى (1422هـ/2001م)، ج8، ص31.

- (3) أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم، ص75. ينظر: الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري، فاضل السامرائي، ص41.

وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1)

قرأ حمزة بجرّ الأرحام، والباقون بنصبها. ولقد أثار بعض النحويين والمفسرين إثارات كثيرة حول قراءة حمزة، وردّوها بحجة مخالفتها القواعد العربية، وبأن العرب لا تنسق اسماً ظاهراً على ضمير كما قال الطبري (2) - أي لا تعطف -، وذهب بعضهم يفتش وينقب عن أبيات من شعر ليصحح بها قراءة حمزة، ولم يحسنوا صنعاً فلا يجوز أن نردّ قراءة متواترة من أجل قاعدة قعدها بعض النحويين، ولقد ردّ كثير من العلماء والأئمة والمفسرين واللغويين على هذه الإثارات مؤكدين أن "حمزة بن حبيب" لم يقرأها لحناً وإنما نقلها مشافهة نقلاً ثبت تواتره إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ردّ على هذه الإثارات "الفخر الرازي" و"الآلوسي"، إذ يقول هذا الأخير: "وقرأ حمزة بالجرّ، وخرجت في المشهور على العطف على الضمير المجرور، وضعف ذلك أكثر النحويين بأن الضمير المجرور كبعض الكلمة لشدة اتصاله بها، فكما لا يعطف على جزء الكلمة لا يعطف عليه." (3)

قال الزجاج (ت311هـ): "و القراءة الجيدة نصب "الأرحام"، المعنى: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، فأما الجرّ في "الأرحام" فخطأ في العربية، لا يجوز إلّا في اضطراب شعر و خطأ أيضاً في أمر الدين العظيم لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تحلفوا بأبائكم، فكيف يكون تتساءلون به و بالرحم، و يقول معللاً: و إجماع النحاة أنه يقبح أن ينسق باسم ظاهر على اسم مضمّر في حال الجرّ إلّا بإظهار الجار، يستقبح النحويون: مررت به و زيد،.. حتّى يقولوا به و يزيد، فقال بعضهم: لأنّ المخفوض حرف متصل غير منفصل فكأنّه كالتنوين في الاسم فقبح أن يعطف باسم يقوم بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه." (4)

و هو أيضاً ما رآه المبرّد حيث شنع قراءة حمزة حين قال: " و هذا مما لا يجوز عندنا إلّا أن يضطر إليه الشاعر " (5)، و تبعه في ذلك جمع من العلماء من بينهم "ابن عطية".

و لكنّ ابن جنّي يدافع عن هذه القراءة قائلاً: " ليست هذه القراءة عندنا من الإبعاد و الفحش

- (1) الآية (1)، سورة النساء.

- (2) جامع البيان، الطبري، ج4/ص152.

- (3) روح المعاني، الآلوسي، ج4/ص184-185.

- (4) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج أبي إسحاق إبراهيم، تحقيق عبد الجليل شلي، عالم الكتب، ط1، ج2/ص6.

- (5) الكامل في اللغة و الأدب، أبو العباس المبرّد، تحقيق الدكتور زكي مبارك، ج2/ص749.

و الشناعة و الضعف على ما رآه فيها و ذهب إليه أبو العباس. (1)
يقصد "المبرّد" و هو أستاذ "الزجاج" حيث قال ابن جنّي حمزة أن يقول لأبي العباس (المبرّد)
إنّني لم أحمل الأرحام على العطف على المجرور المضمّر بل اعتقدت أن تكون فيه باء ثانية حتى
كأنّي قلت: و بالأرحام، ثمّ حذف الباء لتقدّم ذكرها. (2)

و الحكم على المتواتر بالرفض ليس بالأمر السهل و من ذلك قوله تعالى: "فَتُوبُوا إِلَىٰ
بَارِيكُمْ" (3)، فقد روي عن أبي عمرو بن العلاء في الهمزة الكسر و الاختلاس، و هو الإتيان
بحركة خفيفة، و السكون المحض، فطعن فيها جماعة من النحويين، و نسبوا روايتها إلى الغلط على أبي
عمرو، قال سيبويه: "إنّما اختلس أبو عمرو فظنّه الراوي سكّن و لم يضبط." (4)
و قال المبرّد: "و لا يجوز التسكين مع توالي الحركات في حرف الإعراب في كلام و لا في شعر و
قراءة أبي عمرو لحن." (5)

فردّ عليه السمين الحلبي قائلاً: "و هذه جرأة من المبرّد و جهل بأشعار العرب، فإنّ السكون في
حركات الإعراب قد ورد في الشعر كثيراً و منه قول امرئ القيس:

فاليوم أشرب غير مستحقب إثماً من الله و لا واغل

فهذه حركات الإعراب و قد سكّنت و قراءة أبي عمرو صحيحة و ذلك أنّ الهمزة حرف ثقل، و
لذلك اجترأ عليها بجميع أنواع التخفيف. (6)
ووقع التعدّد كذلك في قوله تعالى:

"يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ
وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ" (7)

- (1) الخصائص لابن جني، ج1/ص258.

- (2) ينظر، المصدر نفسه، ج1/ص285.

- (3) الآية (54)، سورة البقرة.

- (4) الكتاب، لسيبويه تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة 3 (1403هـ-1983م)، مصر، ج2/ص297.

- (5) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق الدكتور احمد الخراط، دار القلم دمشق (1406هـ)

ج1/ص361.

- (6) المصدر نفسه، ج1/ص362.

- (7) الآية (06)، سورة المائدة.

وأخرج ابن جرير عن أبي عبد الرحمن قال : "قرأ الحسن والحسين { وأرجلكم إلى الكعبين } فسمع علي ذلك وكان يقضي بين الناس فقال : أرجلكم هذا من المقدم والمؤخر في الكلام." (1) يقول أبو جعفر النحاس: "من قرأ بالنصب جعله عطفاً على الأول.

ثم قال : إنّ الأخفش و أبا عبيدة يذهبان إلى أنّ الخفض على الجوار و المعنى للغسل ، و قال الأخفش : مثله هذا جحر ضبّ خرب - قال أبو جعفر معقّباً : هذا القول غلط عظيم، لأنّ الجوار لا يجوز في الكلام أن يقاس عليه و إنّما هو غلط." (2)

ويقول الزمخشري أيضاً: "إنّ مخفوض على الجوار و ليس بجيد إذ لم يأت الخفض على الجوار في القرآن الكريم و لا في الكلام الفصيح وإنّما هو شاذ في كلام من لا يؤبه له من العرب." (3) و يقول الزجاج: "فأمّا الخفض على الجوار فلا يكون في كلمات الله." (4)

و على الأغلب فإنّ هذا التعدّد الواقع في القراءة لا يمثّل أي اختلاف قد يعتقد البعض أنّه تناقض ، و لكن الأصل في القراءة هو النّصب فيكون كما قال النحاس عطفاً على الأول لأنّ السنة بيّنت ذلك من خلال فعل التّبي صلى الله عليه و سلم و لكن الغرض من التأخير هو ترتيب فرائض الوضوء ، و غسل الرجلين هو آخر عضو فناسب موقعها في الكلام موقعها في ترتيب الفرائض، وأمّا من قرأها بالخفض فيجعل المعنى على المسح فهو تخفيف على الأمة لأنّ المسح على الخفين جائز.

إنّ المسائل التي مرّت بنا و التي مثّلت دائرة صراع بين النحويين تبين الأثر الكبير الذي تركته القراءات القرآنية في الدراسات النحوية كما تبرز فضلها في تطور البحث في مجال النحو العربي الذي كان يريخ تحت أنقاض التشدّد للمذهب ، فكانت القراءات بمثابة معول كسر هذه القيود التي لا تخدم لا اللغة العربية و لا البحث في القراءات ، و ما هذا الخناق الذي حاول النحو فرضه على القراءات إلّا محاولة يائسة للنحويين من أجل إخضاع المثال للواقع ، و هذا ما لم يكن و لن يكون لأنّ قدسية النصّ القرآني لا تسمح بتليين الكلمات القرآنية و صبّها في قالب الهوى

- (1) القراءات و اللغويات في معاني القرآن للزجاج، رقية محمد صالح إبراهيم الحزامي، ص9.

- (2) أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم، ص 69.

- (3) المرجع نفسه، ص69.

- (4) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج أبي إسحاق إبراهيم، تحقيق عبد الجليل شلي، ص152.

وعلى النحويين أن يدرسوا قواعد النحو في ضوء القوانين الصارمة للقراءات الصحيحة فيفتحوا بذلك باب واسعاً يمهد لتطور النحو العربي، و بينوا أسساً لا يمكن لأي كان أن يجادل فيها اعتماداً على قرائن معينة تحدّد من خلالها الدلالة لأنّ النحو يمثل مرجعاً رئيسياً لتحديداتها، فالكلمات تتعلق مع بعضها البعض بعلاقات نحوية يتسنى من خلالها للمتكلم التعبير عن المعنى المراد و يمكن سامعه من فهمه، اعتماداً على القرائن التي تعينه على الإفصاح عن مقصوده.

وهذه القرائن هي العامل المنتج للدلالة، وهذا ما سنبينه من خلال الفصل الثاني بعرض أمثلة موزعة على مباحث مصنّفة على حسب القرائن من قراءات للقراء التالية أسماؤهم:

* ابن عامر *

هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة أبو عمران و قيل أبو عامر يقول عنه أبو عمرو الداني: " هو عبد الله بن عامر اليحصبي، قاضي دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، و هو من التابعين، و ليس في القراء السبعة من العرب غيره و غير أبي عمرو. " (1) توفي ابن عامر في السنة الثامنة عشرة بعد المائة (ت118هـ). ذكره الإمام الشاطبي:

أبو عمرهم و اليحصبي بن عامر صريح و باقيهم أحاط به الولا. (2)

* ابن كثير *

هو عبد الله ابن كثير بن المطلب بن جعفر، مولى عمرو بن علقمة الكناني الداري المكي إمام المكيين في القراءة، أصله فارسي، وكان دارياً بمكة و هو العطار، و قد تصدر للإقراء و صار إمام أهل مكة في ضبط القرآن، و توفي سنة عشرين و مائة (ت120هـ). (3)

-
- (1) التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، مطبعة الدولة، الطبعة الأولى، (1349هـ-1930م)، ص18.
- (2) الوافي في شرح الشاطبية، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، مكتبة الدار، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، (1404هـ-1983م)، ص21.
- (3) معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأمصار، شمس الدين ابن عثمان الذهبي، تحقيق طيار آلي قولاج اسطنبول 1995م.

ذكره الإمام الشاطبي بقوله:

و مكة عبد الله فيها مقامه هو ابن كثير كاتر القوم مُعتلى. (1)

* عاصم ابن أبي النّجود *

هو عاصم بن بهدلة بن أبي النّجود ،بفتح النون و ضم الجيم، أبو بكر الأسدي مولا هم،الكوفي ،الحناط،شيخ الإقراء بالكوفة،و يقال أبو النجود اسم أبيه ،و بهدلة اسم أمه ،و هو إمام الإقراء بالكوفة. (2)

و هو معدود من التابعين، كما ذكر الذهبي،و ذكر أنّه إليه انتهت الإمامة في القراءة بالكوفة توفي سنة سبع وعشرين ومائة (ت127هـ).

وذكره الشاطبي بقوله:

فأما أبو بكر وعاصم اسمه فشعبة راويه مبرز أفضلا
وذاك ابن عياش أبو بكر الرضا و حفص و بالإتقان كان مفصّلا. (3)

* أبو عمرو ابن العلاء *

هو أبو عمرو بن العلاء المقرئ النحوي البصري ،ولد سنة (68هـ)،و قيل سنة (65هـ)،و قيل سنة (70هـ) ،فقراً بمكة و المدينة ،و قرأ بالكوفة و البصرة على جماعة كثيرة و ليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه،توفي سنة أربع وخمسين ومائة (154هـ). (4)

و ذكره الشاطبي بقوله:

و أما الإمام المازني صريحهم أبو عمرو فوالده العلاء. (5)
وكان أبو عمرو ملماً بالقراءات و النحو،عربياً أصيلاً ذو باع طويل في النقل و القراءة.

- (1) الوافي في شرح الشاطبية،ص17.

- (2) معرفة القراء،ص73-77.

- (3) الوافي،ص19.

- (4) معرفة القراء ،ص 105.

- (5) الوافي، ص18.

* حمزة الزيّات *

هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام أبو عمارة الكوفي مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي الزيّات ، ولد سنة (80هـ)، و أدرك الصحابة بالسن فلعله رأى بعضهم و كان إماماً حجة قيماً بكتاب الله ، حافظاً للحديث ، بصيراً بالعربية و الفرائض ، عابداً خاشعاً (1)، توفي سنة ست وخمسين ومائة (156هـ)، جاء ذكره في الشاطبية: وحمزة ما أركاه من متورّع إماماً صبوراً للقرآن مرتلاً. (2)

* نافع المدني *

هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم اللّيثي ، مولاهم أبو زويم المقرئ المدني، وقيل أبو نعيم، و الأشهر أبو زويم ، قرأ على طائفة من تابعي المدينة، و كان أسود اللون حالكاً. (3)

و قد أقرأ الناس دهرًا طويلاً ما يقرب السبعين سنة، و إليه صارت إمامة القراءة في المدينة توفي سنة تسع و ستين ومائة (169هـ)، و هو الإمام الثاني من أئمة الحرمين بعد ابن كثير ذكره الشاطبي في منظومته قائلاً:

فأما الكريم السرّ في الطيب نافع فذلك الذي اختار المدينة منزلاً. (4)

* الكسائي *

هو علي بن حمزة الكسائي الإمام أبو الحسن الأسدي ، مولاهم الكوفي المقرئ النحوي أحد الأعلام ولد سنة عشرين ومائة (120هـ)، و اختلف في تسميته بالكسائي و قيل أنّه أحرم في كساء.

و قد ألف كتاب معاني القرآن و كتاب القراءات ، و كتاب العدد، و كتاب النوادر

- (1) معرفة القراء ج1/ ص93.

- (2) الوافي في شرح الشاطبية، ص20.

- (3) معرفة القراء، ج1/ ص89.

- (4) الوافي ، ص16.

الكبير، وكتاب النوادر الأوسط، وكتاب النوادر الأصغر، وكتاباً في النحو، توفي سنة تسع وثمانين ومائة للهجرة (1) و قد خصّه الشاطبي بقوله:
و أما علي فالكسائي نعته لما كان في الإحرام فيه تسربلاً (2)

* يزيد بن القعقاع *

هو الإمام أبو جعفر المخزومي المدني، تابعي مشهور كبير القدر، و يقال اسمه جندب بن فيروز، و هو من التابعين الذين رأوا الصحابة إلا أنه لم يذكر في السبعة لأنهم نظروا في ذلك لكثرة الرواية عن الإمام و لكثرة أتباعه و الناقلين عنه، توفي سنة سبع وعشرين ومائة (ت127هـ)، ذكره ابن الجزري بقوله:
ثم أبو جعفر الحبر الرضى فعنه عيسى و ابن جَمَازٍ مضى (3)

* يعقوب الحضرمي *

هو يعقوب بن إسحاق الحضرمي قارئ أهل البصرة في عصره، الإمام أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق مولى الحضرميين، كان عالماً بالعربية ووجهها، و القرآن، فاضلاً نقياً تقياً ورعاً، ومن زهده أنه سُرِقَ زاده عن كتفه في الصلاة و لم يشعر، و رُدَّ إليه و لم يشعر لشغله بالصلاة (4)، توفي سنة خمسين و مائتين (250هـ)، و قد ذكره ابن الجزري قائلاً:

تاسعهم يعقوب وهو الحضرمي له رويس ثم روح ينتمي (5)

- (1) معرفة القراء ، ج1/ص107.

- (2) الوافي، ص20.

- (3) طيبة النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري، ص12.

- (4) معرفة القراء، ج1/ص130-131.

- (5) طيبة النشر، ص13.

* خلف البزار *

هو خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن ثعلب بن هشيم بن ثعلب بن داود بن مقسم بن غالب أبو محمد الأسدي، ولد سنة خمسين ومائة (150هـ)، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، وابتدأ في الطلب وهو بن ثلاث عشرة سنة، وكان ثقة كبيراً زاهداً عابداً عالماً، وروي عنه أنه قال أشكل عليّ باب من النحو فأنفقت ثمانين ألف درهم حتى حفظته، وكان يكره أن يقال له البزار، توفي سنة تسع و عشرين ومائتين (ت229هـ) (1)، قال عنه ابن الجزري:
و العاشر البزار وهو خلف إسحاق مع إدريس عنه يعرف. (2)

- (1) معرفة القراء، ج1/ص172.

- (2) طبية النشر في القراءات العشر، ص13.

الفصل الثّاني

مستويات الإنتاج الدلالي

للقراءات.

توطئة:

إنّ القراءات القرآنية هي بحر يمدّه سبعة أبحر، و علماء القراءات لم يخرجوا من هذا البحر إلّا بقدر ما يخرج مع المحيط إذا غمس في الماء، و قد أخطأ من ظنّ منهم أنّه قد وصل إلى قمة البحث عن أسرار الإعجاز القرآني، حيث انصبّ جهدهم على تحديد القراء و وجوه القراءات و ضبطها، و لكن مع هذا العمل الجليل الذي قاموا به و الذي لا ينكره أحد إلّا أنّهم أغفلوا أهم جانب و هو التعمق في البحث عن الأسرار التي يخفيها هذا التعدّد في الأداء على جميع المستويات الصوتية، و الصرفية، و التركيبية، و التي بها يحدث التباين بين الأساليب دلاليّاً و بلاغيّاً و قد عاب عبد القاهر الجرجاني (ت 471^{هـ}) على علماء عصره هذا الإغفال حيث قال: "أو ههنا أمور أخرى نخيل في المزيّة عليها، و نجعل الإعجاز كان بها، فتكون تلك الحوالة لنا عذراً في ترك النظر في هذه التي معنا، و الإعراض عنها، و قلة المبالاة بها؟، أو ليس هذا التهاون - إن نظر العاقل - خيانة منه لدينه و عقله، و دخولاً فيما يزري بذی الخطر، و يغض من قدر ذوي القدر؟

و هل يكون أضعف رأياً، و أبعد من حسن التدبير منك إذا همّك أن تعرف الوجوه في (أنذرهم)⁽¹⁾ و الإمالة في (رأى القمر)⁽²⁾، و تعرف (الصراط)⁽³⁾ و (الزراط)، و أشباه ذلك مما لا يعدو علمك فيه اللفظ، و جرس الصوت، و لا يمنعك - إن لم تعلمه بلاغة - و لا يدفعك عن بيان، و لا يدخل عليك شكاً، و لا يغلق دونك باب معرفة، و لا يفضي بك إلى تحريف و تبديل، و إلى الخطأ في التأويل، و إلى ما يعظم فيه المعاب عليك، و يطيل لسان القادح فيك، و لا يعينك و لا يهّمك أن تعرف ما إذا جهلته عرّضت نفسك لكل ذلك، و حصلت فيما هناك، و كان أكثر كلامك في التفسير و حيث تخوض في التأويل كلام من لا يبني الشيء على أصله، و لا يأخذه من مأخذه، من ربما وقع في الفاحش من الخطأ الذي يبقى عاره، و تشنع آثاره." (4)

إنّ هذا النقد الموضوعي الذي يوجهه الجرجاني إلى علماء اللغة و القراءات يفسّر لنا أنّهم لحقوا الدّيل و تركوا الهدف الذي هو الغرض الأسمى من الخوض في الإعجاز القرآني، و هذه هي الحقيقة

- (1) الآية (06)، سورة البقرة، و فيها تحقيق الهمزتين، و تحقيق الثانية بين بين، و توسيط ألف بينهما محققين، و توسيطهما و الثانية بين بين، و حذف حرف الإستفهام و التقاء حركته مع الساكن قبله.

- (2) الآية (72)، سورة الأنعام، قرأ أبو عمرو بإمالة الهمزة و قرأ غيره بكسر الراء و الهمزة، و بكسر الراء و فتح الهمزة.

- (3) الآية (06)، سورة الفاتحة، قرئت بالصاد و قرئت بالإشمام بالسين و الزاي، و قرئت بالصاد خالصةً.

- (4) دلائل الإعجاز، الإمام أبي بكر عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، ص 75.

فماذا لو عرف الباحث أنّ (ننشؤها) تقرأ أيضاً (ننشؤها) دون أن يعرف السرّ الخفي و المعنى العميق لهاتين القراءتين مستنبطاً في الوقت نفسه إعجازاً بلاغياً يليه إعجاز علمي، فوقفنا أمام هذه الكلمة التي تصور لنا موقفاً من المواقف و ترسم مشهداً من المشاهد يجعلنا مشدودين لا إلى المعنى القريب البسيط النابع من الوضع اللغوي، بل إلى دلالات أخرى تستتبع الدلالة الأولى بشكل يبرز معه التكامل بين القراءات. وقد رأينا بأن تعدد القراءات يمكن تصنيفه إلى مستويين تنتج معها الدلالات.

أولاً:

الدلالة الصوتية:

إنّ للبنية الصوتية علاقة قوية مع الدلالة، فوظيفة الصوت توليد المعاني عبر تسلسل صوتي خاضع لقواعد معينة كالتجاور و الارتباط و الموقع تبعاً للموقعية و النبر و التنغيم، فاللغة أصوات و الكلمة أصوات، و نطق هذه الأصوات نطقاً صحيحاً يساعد على فهم المعنى فهماً سليماً، و الخلط بينها يؤدي إلى خلط في المعنى، و أي تغيير في درجة الصوت سيحدث معه بالتالي تغيير في المعنى، فهناك من لا يفرق بين السين و الصاد فيقول: "يسطبرون" أو "يصطبرون"، و هذا التغيّر الطفيف يحدث معه تغيير في الدلالة لأنّ للصوت أثراً في تعميق الدلالة في نفس المتلقي و تصويرها، و قد أشار الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175^{هـ}) إلى علاقة الصوت بالدلالة عندما قال: "تقول العرب صرّ الجندب صريراً و صرصر الأخطب صرصرة، فكأنهم توهّموا في صوت الجندب مدّاً و توهّموا في صوت الأخطب ترجيعاً." (1)

ولو تأملنا مثلاً قوله تعالى: "فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى" (2)

وجدنا أنّ "الطاء" و "الميم" الجمهورين الشديدين في كلمة "الطّامة" يعبران على هول مشهد يوم القيامة حتّى نكاد نشعر بالأصوات و بحركة الطّم، فناسب شدة شدة و عسر ذلك اليوم، فيمكننا القول أنّ للصوت دلالة و لكنّها ليست دلالة مستقلة، بل تعتمد على الترابط بين العناصر اللغوية و الذي لولاه لما كان للبنية أي معنى، أو لما تمايزت الكلمات فيما بينها، "فالأصوات و البنى الصوتية تسهم في تشكيل المعنى وإضفاء الطابع الإيقاعي من تردّد لصوت معيّن في موقع معيّن." (3)

- (1) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للطباعة و النشر، ج1/ص56.

- (2) الآية (34)، سورة النازعات.

- (3) ينظر، العدول في القرآن الكريم على وفق نظرية التلقي (دراسة أسلوبية)، بثينة خضر محمد، ص38.

و هذا ما يطلق عليه مصطلح الأنوماتوبيا- (onomatopoea) ،حيث يصوّر الصوت المعنى ويجسّده للسامع أو المتلقي. يقول الدكتور محمد يونس علي: "يقتصر أثر الصّيتة من الناحية الدلالية على التمييز بين كلمات اللغة، وكذا التمييز بين المصترّفات، فهي تعدّ عنصراً مؤسساً في بناء المصترّفات والكلمات." (1)

و هذا البناء الذي أشار إليه يجعل الوظيفة الأصواتية في بناء الدلالة من الوظائف الرئيسية في اللغة العربية على غرار سائر اللغات، غير أنّ "فيرث" يجعلها من الوظائف الثانوية التي تساعد الوظائف الرئيسية الأخرى على بناء الدلالة كالوظيفة التصريفية و الوظيفة المعجمية و الوظيفة التركيبية. ثانياً:

الدلالة الصرفية:

إنّ المستوى الصرفي يعدّ من العناصر الأساسية و المهمّة في تحديد الدلالة و تغييرها ،و من عناصر هذا المستوى المفردات أو الكلمات أو الوحدات الدالة التي تنشأ من الجمع بين الأصوات-الوحدات الغير دالة- بصورة اعتباطية مع التحفظ على هذه الكلمة، فيكون لنا وحدات لها دلالة مفردة بالوضع كما ذكر الزمخشري في كتابه المفصل قائلاً: "فقد يعدل من صيغة على صيغة لمعنى لغوي معيّن." (2)

فعلم الصرف يتقاطع مع علم الدلالة لأنّ في تصريف الصيغ الصرفية الأولى إلى صيغ مختلفة هو الحاجة إلى الدلالات المختلفة ضمن النظام اللغوي لتؤدي اللغة وظيفتها بشكل كامل ودقيق. و تلعب الصيغ الصرفية دوراً كبيراً في الدلالة على معنى الكلمة ضمن نطاق سياقها يقول الزمخشري: "فقد يعدل من المضارع إلى الماضي للدلالة على أنّ المستقبل هو الواقع الكائن." (3) و ضرب مثلاً لذلك في قوله تعالى: "أتى أمر الله فلا تستعجلوه" أنّه قيل أتى تنزيلاً للمنتظر منزلة الآتي الواقع.

و يقول في قوله تعالى: "يوم ينفخ في الصور ففرع من في السموات و الأرض"، أنّه قال ففرع ولم

- (1) المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية ،محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، الطبعة الثانية، مارس (2007)، ص 254.

- (2) الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري، فاضل السامرائي، مطبعة الإرشاد بغداد، ص 284.

- (3) المرجع نفسه، ص 284.

يقبل فيفزع لنكتة و إشعار بتحقيق الفزع و ثبوته.

و يعدل من الفعل إلى الاسم للدلالة على الثبوت و الوصفية كما في قوله تعالى: "لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك"
فإن قلنا لما جاء الشرط بالفعل و الجزاء بالاسم؟، يكون الجواب أنّه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع. (1)

و يعدل من الماضي إلى المضارع لحكاية الحال و نقل القارئ إلى واقع الحدث كما في قوله تعالى: "و يصنع الفلك"، و الأصل أنه صنع الفلك ، و لكن القرآن عدل عنه لتحريك مشاعر القارئ اتجاه نوح عليه السلام و هو يصنع السفينة.

و قد توضع صيغة مكان صيغة لدلالة معنوية كما في قوله تعالى: "و لو يعجل الله للناس الشرّ استعجالهم بالخير"، فالتقدير "تعجيله للخير" ، و لكن عدل عن هذه الصيغة حتى يبرز سرعة الإجابة.

كما أنّ عَجَلَ يدّل على الوقوع و استعجل يدّل على طلب التعجيل بالأمر.

و بالنظر إلى المستوى الآخر فإنّ التغير في الحركة يتبعه تغيّر في المعنى ، يبيّن لنا الزمخشري ذلك من خلال قوله تعالى: "ليقولوا درُست" بضم الراء و فتحها فدُرُس تدلّ على المبالغة و شدّة الدراسة.

و في قوله تعالى: "كما بعدت ثمود" بكسر العين و ضمها ، و المعنى في البنائين يقول الزمخشري واحد، و لكن لما أرادوا التميز بين بعد الخير و بعد الشر غيّرُوا الحركة. (2)
و يقال الضيّق و الضيّق جاء في مقدمة الأدب: "الضيّقُ ما ضاق عنه صدرك و الضيق يكون في الدار و الثوب و غيرهما. (3)

و القراءات القرآنية تعتمد في الأساس على هذه التغيرات التي تطرح جملة من المعاني.

- (1) ينظر: الكشف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ج2/ص179.

- (2) ينظر: الكشف، ج2/ص68.

- (3) الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري، فاضل السامرائي، ص288.

المبحث الأول

الوقف و الابتداء.

يعدّ موضوع الوقف و الابتداء من المسائل الصوتية التي لفتت الإنتباه نظراً لعلاقتها الواضحة بالمعنى ،سئل علي بن أبي طالب عن الترتيل فقال: " الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف." (1) وروي عن ابن عمر رضي الله عنه أنّه قال: "لقد عشنا برهة من دهرنا ،و إن أحدنا ليؤتي الإيمان قبل القرآن و تنزل السورة على النبي صلى الله عليه و سلم فيتعلم حلالها وحرامها و أمرها وزجرها وما ينبغي أن يوقف عنده منها." (2) و يقول ابن الأنباري: "من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف و الابتداء فيه." (3) إذّا فالوقف من الأمور المهمة التي شغلت الصحابة قبل علماء القراءات،و أكّدوا على أنّ الإجازة في القراءة لا تمنح إلا لمن تعلّم أصوله حيث يقول النّكزايي: "باب الوقف عظيم القدر، جليل الخطر،لأنّه لا يتأتّى لأحد معرفة معاني القرآن و لا استنباط الأدلّة الشرعية منه إلاّ بمعرفة الفواصل." (4)

تعريف الوقف:

لغةً: الحبس. (5)

قال الجوهري: "أوقفت عن الأمر الذي كنت فيه ،أي أقلت." (6) وقد ورد في القرآن الكريم في عدّة مواضع لقوله تعالى: "وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِعَايَتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" (7)

اصطلاحاً:

"قطع الكلمة عما بعدها بسكتة طويلة." (8)،أو هو قطع الصوت بعد الكلمة زمناً يتنفس

- (1) النشر في القراءات العشر،ابن الجزري،ج1/ص 225.

- (3) المصدر نفسه ،ص 225.

- (4) الإتيقان في علوم القرآن،الإمام جلال الدين السيوطي،ص177.

- (5) لسان العرب،ابن منظور مادة (وقف)،دار صادر،بيروت،ج6،ص4898.

- (6) الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية،الجوهري إسماعيل بن حماد،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين،بيروت،ط2(1399هـ-1979م)،ج4،ص1440.

- (7) الآية (27)،سورة الأنعام.

- (8) المعنى وظلال المعنى،محمد يونس،ص344.

فيه عادة بنيّة استئناف الكلام، وقد عرّفه أبو الخير محمد بن الجزري (ت833هـ) بأنّه: "قطع الصوت على الكلمة زمنًا يتنفس فيه عادة بنيّة استئناف القراءة، إمّا بما يلي الحرف الموقوف أو بما قبله." (1)

وهذا ما جسّده حين قال أنّه لا يمكن للقارئ أن يقرأ السورة أو القصّة في نفس واحد، و لم يجز التنفّس بين الكلمتين حالة الوصل، وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس و الاستراحة، و تعيّن ارتضاء ابتداء بعده، و يتحمّم ألا يكون ذلك مما يحيل المعنى و لا يخلّ بالفهم، إذ بذلك يظهر الإعجاز. (2) وقد روي عن الشعبي أنّه قال: "إذا قرأت 'كلّ من عليها فان' فلا تسكت حتى تقرأ: 'و يبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام' (سورة الرحمن 26-27).

أنواع الوقف:

اختلف العلماء في تقسيم أنواع الوقف و لكن تقسيماتهم كانت متقاربة.

1- اضطراري: وهو أن يقف القارئ على كلمة ليست محلاً للوقف لضرورة طارئة ألبّأت له ذلك كالبكاء أو ضيق في التنفس أو غيرها من الحالات، ويجوز له ذلك بشرط العودة إلى الكلمة التي وقف عليها إذا كان لها علاقة مع الكلمة التي بعدها.

2- اختياري: و هو الوقف الذي يختاره القارئ بمحض إرادته و اختياره، و الذي تتعلق به الأحكام و الدلالات و قد قسّمه العلماء إلى:

أ- وقف تام: يعرّفه الزركشي بقوله: "الوقف على كلام تمّ معناه، ولم يتعلق بما بعده لا لفظاً و لا معنى." (3)

و يعرّفه السيوطي بقوله: "هو الذي لا يتعلق بشيء مما بعده." (4)

و على الأغلب نجده على رؤوس الآيات كقوله تعالى: "أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (5)

- (1) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ص227.

- (2) ينظر: المصدر نفسه، ص228.

- (3) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1/ص350.

- (4) الإتيان في علوم القرآن، الإمام جلال الدين السيوطي، ص178.

- (5) الآية (5)، سورة البقرة.

ب- الوقف الكافي: عرّفه ابن الجزري بقوله: "هو الوقف على كلام أفاد معنى في ذاته و يتعلق بما بعده في المعنى دون اللفظ." (1)

كالوقف على قوله تعالى: "اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ" (2) ، و الابتداء بما بعده في قوله تعالى: "أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى" (3)

ج- الوقف الحسن: و يعرفه الداني بقوله: "هو الوقف على كلام أفاد معنى بذاته و يتعلق بالكلام الذي بعده لفظاً ومعنى." (4)

ومثل ذلك الوقف على لفظ الجلالة في قوله تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ" (5) فالوقف على "الحمد لله" يفيد معنى في ذاته و لكنه يتعلق بما بعده لفظاً ومعنى ، فكلمة فاطر هي صفة للموصوف و لا يجوز فصل الصفة عن الموصوف لذلك من الأولى عدم الوقف.

د- الوقف القبيح: عرّفه السيوطي قائلاً: "هو الذي لا يفهم منه المراد." (6) و يعرفه الداني بقوله: "هو الوقف على كلام لا يعرف المراد منه، لشدة تعلقه بما بعده لفظاً ومعنى، أو أوهم معنى غير المراد من الآية." (7)

ومنه قوله تعالى: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ" (8) فالوقف على (قالوا) و الابتداء بـ (إنّ) كفر بالله سبحانه وتعالى.

و قد جمع ابن الجزري أنواع الوقف في أبيات شعرية قائلاً:

و بعد تجويدك للحروف لا بد من معرفة الوقوف

و الابتداء وهي تقسم إذن ثلاثة تام وكافي وحسن

- (1) النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري، ج1/ ص228.

- (2) الآية (15)، سورة البقرة.

- (3) الآية (16) ، سورة البقرة.

- (4) المكتفي في الوقف و الابتداء في كتاب الله تعالى، أبو عمرو الداني، تحقيق يوسف المرعشلي، ص145.

- (5) الآية (1) ، سورة فاطر.

- (6) الإتيان في علوم القرآن، الإمام جلال الدين السيوطي، ص179.

- (7) المكتفي في الوقف و الابتداء في كتاب الله تعالى، أبو عمرو الداني، ص148.

- (8) الآية (17)، سورة المائدة.

وهي لما تم فإن لم يوجد تعلق أو كان معنى فابتدى
فالتام فالكافي ولفظاً فامنعن إلا رؤوس الآي جوز فالحسن. (1)

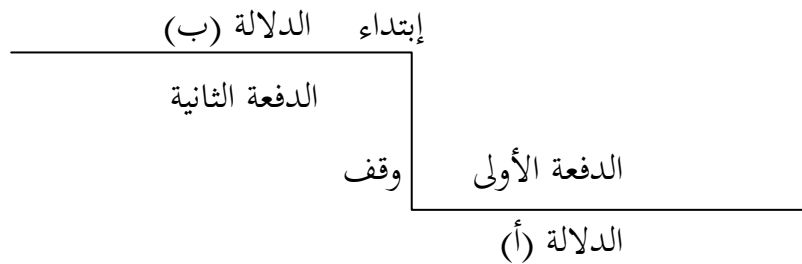
من خلال ما سبق من المفاهيم المتعلقة بالوقف فإنّ الابتداء لا يكون إلاّ اختيارياً لأنّه مرتبط بالوقف ،و لكن قد يكون الوقف حسناً و الابتداء به قبيحاً في قوله تعالى: "تُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي" (1)

فالوقف على (يخرجون الرسول و إياكم) حسن،و لكن الابتداء بقوله (و إياكم أن تؤمنوا) قبيح لأنّ فيه تحذير من الإيمان بالله تعالى،و قد يكون العكس أي الوقف قبيح و الابتداء به حسن في قوله تعالى: "من بعثنا من مرقدنا هذا"، "ما وعد الرحمن و صدق المرسلون" و أئمة التفسير لا يجيزون ذلك لأنّ الإشارة هنا ليست متعلقة بالمرقد.

يتبيّن لنا الأثر الواضح للوقف و الابتداء في تحديد الدلالة المقصودة،و أقول المقصودة لأنّ بعض المعاني و الدلالات التي ينتجها الوقف غير مقبولة و هي ما صنّفها العلماء في خانة القبيح،أما الذي يعيننا في هذا المبحث فهو الدلالات التي لا تخرج عن نطاق المعنى المقصود للآية ،و لا يبرز ما سميناه بالتناقض أو الاختلاف ،و لنضرب مثلاً من الواقع:

يقول القائل: 1- لا تهتم بقوله ،إنّك بريء. 2- لا تهتم بقوله:إنّك بريء.

فلو وقفنا على بريء في المثال الأول لأخذنا هنا موقف الناصح للمخاطب من عدم الاهتمام بقول قيل له،و لو وقفنا على (قوله) في المثال الثاني لأخذنا موقف المطمئن للمخاطب من أنّه بريء.فقطع السلسلة النطقية "chain of utterance" ينقطع معها السياق إلى دفعات كلامية "spoken groups" ،هذه الدفعات تتظافر فيما بينها منتجة توليفة من الدلالات.



- (1) شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد ،زكريا الأنصاري،الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم،ط1،ص 89.
- (2) الآية (1) ،سورة الممتحنة.

أثر الوقف و الابتداء في الإنتاج الدلالي (دراسة تطبيقية)

النموذج الأول

قال الله تعالى:

"إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ" (1)

الدفعه الأولى:

"إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا"

الدفعه الثانية:

"وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ"

فالوقف على (نذيراً) كاف، وهذا لارتباط الكلام بما بعده في المعنى لا في اللفظ على أن تقرأ (تُسأل) (2) بفتح التاء و جزم اللام و هي قراءة نافع و يعقوب، و هنا إشارة إلى التّهي عن السؤال على أصحاب النار أي: لا تسأل يا محمد عنهم فقد بلغوا من العذاب درجة عظيمة. و قرأ الباكون من القراء العشرة (تُسأل) و فيها وجهان:

الوجه الأول:

أن تقرأ بالوقف على (نذيراً) و يكون الوقف هنا كاف و التقدير "إنا أرسلناك بالحقّ بشيراً و نذيراً و لست تُسأل عن أصحاب الجحيم" أي لا تؤاخذ بهم و لا تحاسب عليهم.

الوجه الثاني:

أن تقرأ على معنى يفيد الحال و التقدير: "إنا أرسلناك بالحقّ بشيراً و نذيراً غير مسؤول عن أصحاب الجحيم" و الكلام هنا متعلق بما قبله فيكون الوقف حسن.

ومن خلال الموازنة و التقريب بين الدفعتين الكلاميتين على محوري الوقف و الابتداء، يبرز لنا مشهد من مشاهد تطمين النبي الذي يخع نفسه رحمة بقومه، فهو لم يرسل ليرغم الناس على دخول الإسلام، إنّما بعث لتبليغ رسالة ربّه مبرزة حرص النبي صلى الله عليه و سلم، كما تعلمنا الآية على أنّ الأنبياء لا يشفعون للكفار يوم القيامة و لا يسألون عنهم.

- (1) الآية (119)، سورة البقرة.

- (2) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج2/ص 221.

الأنموذج الثاني

قال الله تعالى:

"وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" (1)

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "لا يقضون منه وطراً ،يأتونه ،ثم يرجعون إلى أهلهم ثم يعودون إليه." (2)

حيث جعله الله أمناً للناس من العدو ،فعن ابن أنس رضي الله عنه قال: "من دخله كان آمناً ومضموناً." (3)

الدفعة الأولى:

"وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا"

الدفعة الثانية:

"وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى"

الوقف على (أمناً) حسن لتعلقه بما بعده لفظاً ومعنى و يستلزم معه أن تقرأ (و اتَّخِذُوا)⁽⁴⁾ على صيغة الفعل الماضي الذي يفيد الإخبار عن قوم مؤمنين جعلوا من مقام إبراهيم مصلى و هذه قراءة نافع و ابن عامر و التقدير: "و اذكر يا محمد أن الناس اتَّخِذُوا من مقام إبراهيم مصلى."، ويكون الوقف على (أمناً) تاماً أي لم يتعلق بما بعده لا لفظاً و لا معنى إذا قرئ الفعل (و اتَّخِذُوا)، بصيغة الأمر الموجه لمحمد صلى الله عليه وسلم و أمته و التقدير: "اتَّخِذْ يا محمد من مقام إبراهيم مصلى" و هذه قراءة ابن كثير و حمزة و الكسائي و أبي عمرو و يعقوب و أبي جعفر و خلف.

ومن خلال القراءتين تتجلى لنا سنة نبينا إبراهيم عليه السلام ،كما تبرز لنا استجابة الله لدعوته حين قال: "ربي اجعل هذا البلد آمناً"، و الناس اتَّخِذُوا من مقامه مصلى إشارة إلى الأمم التي سبقت أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي سار على نهج آبائه و انصاع لأمر الله سبحانه وتعالى.

- (1) الآية (124)، سورة البقرة.

- (2) تفسر القرآن العظيم، أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، الطبعة الجديدة، دار ابن حزم، ج1/ص300.

- (3) المصدر نفسه، ص301.

- (4) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج2/ص221.

الأنموذج الثالث

قال الله تعالى:

"كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ" (1)

الدفعة الأولى:

"كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا"

الدفعة الثانية:

"كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ"

الوقف على (ما) دون ما قبلها يفيد معنى التوكيد و يكون التقدير: "كانوا يهجعون قليلاً من الليل" أي أنهم كانوا لا ينامون إلا قليلاً.

أما الوصل بين (ما يهجعون) على المصدر فهنا يفيد معنى آخر تقديره: "كانوا قليلاً من الليل هجوعهم" أي أنهم كانوا يقيمون أدنى من ثلثي الليل لقول الحق سبحانه وتعالى: "إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنَصْفَهُ وَثُلُثَهُ" (2)

و الجمع بين القراءتين على مستوى الوقف و الابتداء يبرز معه طائفتين من الناس، طائفة اتخذت الليل بطوله فضاءً للعبادة و التقرب من الله سبحانه وتعالى ، و هم اللذين يخشون ضياع الوقت و فوات أجر قيام الليل عليهم ، و طائفة أخرى جعلت جزءاً من الليل للراحة و الجزء الآخر و هو الثلث الأخير منه للقيام ، و هنا تبرز الحكمة الربانية في قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضًىٰ ۖ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۖ وَآخَرُونَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ ۚ﴾ (3)

- (1) الآية (17)، سورة الذاريات.

- (2) الآية (20)، سورة المزمل.

- (3) الآية (20)، سورة المزمل.

النموذج الرابع

قال الله تعالى:

"إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ^ط وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ^ج وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ ^ط وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" (1)

الدفعة الأولى:

"إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ^ط وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ"

الدفعة الثانية:

"وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ ^ط وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"

(و نُكْفِّرُ) بالنون والرفع، فالوقف على (خير لكم) يكون كافياً إذا كانت القراءة بالرفع و النون والمعنى يكون: ونحن نكفر عنكم، و من قرأ بالياء يكون التقدير: و هذه الصدقة تكفر عنكم، و من قرأ بالنون بالجزم جعل الكلام متصلاً لفظاً على أنه معطوف فيكون الوقف على (لكم) حسناً. لا تناقض بين القراءتين فكلاهما تكمل الأخرى، إذ أنّ القراءة الأولى تبين إرشاد الله لعباده ليقوموا بالأعمال الصالحة التي تقرّبهم إليه و تمحو سيئاتهم، كما أنّ أفيها فيها إسناد الفعل لله تعظيماً له و تكريماً لعباده، و كأنّ الله يقول لعباده اعملوا فأعمالكم عندي لا تخشوا عليها من الضياع أو النسيان لأنّه جلّ في علاه لا تأخذه سنة و لا نوم، و لكن جعل لتكفير السيئات سبباً و هو ما تبينه القراءة الثانية حيث أسند فعل تكفر للصدقة، و كأنّ الصدقة هي التي تمحو الذنوب بأمر الله سبحانه وتعالى و هذا من أجل تعظيم هذا العمل في نظر القارئ أو المتلقي.

- (1) الآية (271)، سورة البقرة.

- (2) التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، مطبعة الدولة، الطبعة الأولى، (1349هـ-1930م)، ص72.

الأنموذج الخامس

قال الله تعالى:

"فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ^ط وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" (1)

الدفعة الأولى:

"فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ"

الدفعة الثانية:

"وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ"

يكون الوقف حسناً على (وضعتها أنثى) لمن قرأ بضم التاء و إسكان العين (وضعتُ)⁽²⁾ وهي قراءة ابن عامر و شعبة ويعقوب، على جعل الكلام كله لمريم ابنة عمران ،و هذا يفيد معنى أنها تعظم الله سبحانه وتعالى بعلمه الواسع مدركة أنه لا يخفى عليه شيء في الأرض و لا في السماء لقوله تعالى: "إِلَيْهِ يُرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ^ج وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ^ج وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ^ج إِيْنَ شُرَكَاءِى قَالُوا ءَاذَنْكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ" (3)

و يكون الوقف كافياً لمن قرأ بفتح العين و إسكان التاء (وضعتُ)⁽⁴⁾ ،و هي قراءة ابن كثير و أبو عمرو وحمزة و الكسائي و خلف و حفص و أبو جعفر،على أن الكلام منقطع عما قبله فهو إخبار من الله تعالى بما حدث.

- (1) الآية (36)،سورة البقرة.

- (2) النشر في القراءات العشر ،ابن الجزري،ج2/ص 239.

- (3) الآية (47)،سورة فصلت.

- (4) التيسير في القراءات السبع،أبو عمرو الداني،ص87.

الأنموذج السادس

قال الله تعالى:

"يَبْنِيْ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكُمُ وَرِيْشًا^ط وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ^ج ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَةِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ" (1)

الدفعه الأولى:

"يَبْنِيْ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكُمُ وَرِيْشًا"

الدفعه الثانية:

"وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ^ج ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَةِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ"

يكون الوقف على (وريشاً) كافياً لمن قرأ بالرفع (و لباساً)⁽²⁾ و هي قراءة ابن كثير و أبو عمرو و حمزة و خلف و عاصم و يعقوب، على أنّ (لباساً) مرفوع بالابتداء و التقوى هي صفة له ، و (خير) خبر ويكون المعنى إشارة إلى أنّ التقوى هي اللباس الذي يستر المؤمن لا لباس الريش تبياناً لقيمة التقوى و تعظيماً لشأنها لقوله تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" (3) و أمّا من قرأ بالنصب (و لباساً)⁽⁴⁾ ، فيكون وقوفه على (ذلك خير) كافياً ، و هي قراءة نافع و ابن عامر و الكسائي و أبو جعفر، و يكون تقدير الكلام: و أنزلنا لباسَ التقوى ، و هنا يفيد المنّ من الله سبحانه و تعالى على عباده بأن ستر عوراتهم سترًا حسياً و سترًا معنويًا فمن يتقي الله سبحانه فقد ستر نفسه في الدنيا و الآخرة.

- (1) الآية (26) ، سورة الأعراف.

- (2) التيسير في القراءات السبع ، أبو عمرو الداني، ص 109.

- (3) الآية (12-10)، سورة الحجرات.

- (4) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ص 268.

النموذج السابع

قال الله تعالى:

"وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" (1)

الدفعة الأولى:

"وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ"

الدفعة الثانية:

"وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"

من القراء من عطف (النهار والشمس والقمر والنجوم) على (الليل)، فجعل قراءته على النصب (و النجوم مسخرات) و هي قراءة نافع و ابن كثير و شعبة عن عاصم و خلف و أبو عمرو و حمزة و الكسائي و أبو جعفر، و هنا يكون الكلام كله متعلقاً بما قبله و ما بعده و يفيد معنى تعداد النعم من الله سبحانه وتعالى.

ومن القراء من قرأ بالرفع (و النجوم مسخرات) على الابتداء و الخبر، و هي قراءة حفص، فأفادت معنى الفصل بين (الليل و النهار و الشمس و القمر) و بين (النجوم)، فيظهر معنى جلاله القرآن فعقل الإنسان غالباً ما يتعلق في ذهنه أنّ الشمس رمز النهار، و أنّ القمر رمز الليل، و أما النجوم فهي من الآيات العظيمة التي قد لا يدرك عظمتها إلاّ من يعقل فهي تبعد عنا ملايين السنين الضوئية ونحن لا نراها و لكننا نرى نورها فقط، ففصلها عما قبلها لزيادة عظمتها و لفت انتباه القارئ إلى هذه الآية الجليلة و هنا الوقف تام.

و قرأ ابن عامر بالرفع (و الشمس و القمر و النجوم مسخرات) ،فوقف وقوفاً تاماً أيضاً على(و سخر لكم الليل و النهار) ،و هنا تأكيد من الله سبحانه وتعالى على أنّه لا أحد يتحكم في هذه النجوم و الكواكب إلاّ هو، و هذا دحض لنظرية الفوضى التي تقول بأنّ الكون لا تحكمه أيّ قوانين و أنّه يتحرك تحركاً عشوائياً إلى ما لا نهاية كما تحاول بعض النظريات الترويج له تحت غطاء التطور التكنولوجي .

- (1) الآية(12)، سورة النحل.

الأنموذج الثامن

قال الله تعالى:

كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَاعَةً لِّلشَّوَىٰ " (1)

الدفعة الأولى:

كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ.

الدفعة الثانية:

نَزَاعَةً لِّلشَّوَىٰ.

تصف هذه الآيات نار جهنم و ما أعدّه الله سبحانه و تعالى للذين كفروا و نسوا ما ذكروا به، و تأتي الدفعة الصوتية الأولى لتحرك و تزلزل قلب الإنسان الخاشع مصورة حركة النار و هي تتأجج يقول ابن كثير: "إنّها لظى" يصف النار و شدة حرّها. (2)

و تأتي الدفعة الكلامية الثانية لتبيّن أثر حرّها على جلد الإنسان ، و قد صوّرها الله سبحانه و تعالى كأنّها إنسان يحمل في يده سكيناً يسلخ بها جلود أصحاب النار.

و تعدّدت القراءات في هذه الآية ، فقرأ نافع و أبو عمرو و ابن عامر و شعبة عن عاصم ، و حمزة و الكسائي و أبو جعفر و يعقوب و خلف برفع التاء (نزاعةً) على أنّها خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هي نزاعة، أو بدل من لظى، و قرأ حفص بنصب التاء (نزاعةً) على أنّها منصوبة بفعل محذوف تقديره أعني، أو أنّها حال من لظى و التقدير: تتلظى في هذه الحالة. (3)

و الوقف على (لظى) في قراءة الرفع كافٍ إن جعلت خبر لمبتدأ، أمّا إن جعلت بدلاً فالوقف عليها حسن، أمّا في قراءة النصب فإن جعلت منصوبة بفعل محذوف فالوقف على لظى أيضاً كافٍ، و إن نصبت على الحال فالوقف عليها حسن. (4)

- (1) الآية (15-16)، سورة المعارج.

- (2) تفسير القرآن العظيم، أبي الفداء إسماعيل ابن كثير، دار ابن حزم، ج4/ص 2965.

- (3) ينظر: الباب في علوم الكتاب، عمر بن علي الدمشقي، تحقيق عادل عبد الموجود و علي معوض، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، ج19/ص 362.

- (4) ينظر: المكتفي في الوقف و الابتداء، أبو عمرو الداني، تحقيق يوسف المرعشلي، مطبعة الرسالة، بيروت، ص576.

و الجمع بين القراءتين يبرز حركية في وصف النار، فحالتها كما سبق و أشرنا حال إنسان قوي شديد يستشيط غضباً، و قراءة النصب يتعلق الكلام فيها بوصف النار فقط دون الإشارة إلى المعذبين بها، أما قراءة الرفع ففيها إشارة إليهم فهي تنزع جلودهم نزعاً، و هذا التصوير الذي يعطي صورة ثلاثية الأبعاد للقارئ، لذلك نجد أنفسنا عند قراءتها نشاهد النار و نراها على منوال ما اعتادت عقولنا.

النموذج التاسع

قال الله تعالى:

"رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا" (1)

الدفعة الأولى:

"رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا"

الدفعة الثانية:

الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا"

قرأ نافع و ابن كثير و أبو عمرو برفع الباء (رب) و (الرحمن)، على أهما خبران لمبتدأ محذوف بتقدير: هو رب، و هو الرحمن لذلك فالوقف على (ما بينهما) كافٍ، وقرأ ابن عامر وعاصم بالخفض هكذا (رب) و (الرحمن)، على أهما بدل كل من كل من (ربك)، وهما لا يوقف على (ما بينهما) لتعلقه بما قبله لفظاً و معنى، وقرأ حمزة و الكسائي بخفض الباء من (رب) و رفع النون من (الرحمن) على أن (رب) بدل من ربك، و الرحمن خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو الرحمن (2)، و على هذا فالوقف على (ما بينهما) كافٍ. (3)

و الوقف الأول فيه إشارة من الله سبحانه وتعالى إلى كمال ربوبيته، فلا أحد على مرّ العصور و الأزمان تجرّأ ليقول أنني خلقت السموات و الأرض، و لكن هناك من تسلط ليجعل نفسه إلهاً في الأرض، فجاء الوقف الثاني ليقول أن من خلق السماء و الأرض خلق ما بينهما و هو من يستحق الربوبية فيهما، ليتجلى علينا بصفة الرحمن.

- (1) الآية (37)، سورة النبأ.

- (2) ينظر: الموضح في وجوه القراءات و عللها، ابن أبي مريم نصر بن علي الشيرازي، تحقيق عمر حمدان، ط1، ج3/1334.

- (3) ينظر: المكتفي في الوقف و الابتداء، أبو عمرو الداني، ص4-6.

الأنموذج العاشر

قال الله تعالى:

"تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۖ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿١﴾
وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ" (1)

هذه السورة الكريمة من السور الغيبية التي تحمل في طياتها كل أنواع الإعجاز القرآني، فهي وعيد من الله سبحانه وتعالى لشخصية من الشخصيات التي عايشة النبي صلى الله عليه وسلم وعادته، حيث كان أبو لهب من أشد الناس كرهاً وحقداً على النبي صلى الله عليه وسلم وقد شاركه في عمله هذا زوجه التي وصفها القرآن بحمالة الحطب. و قد تعددت القراءات في الوقف فتنتج معها عدة دلالات تُبين على الغزارة التي تحملها الكلمات القرآنية.

فقرأ ابن كثير وحمة و الكسائي و أبو عمرو برفع التاء: "حمالة الحطب"، و قرؤوا "امراته" بتقديران: بالرفع على الابتداء "و امرأته"، و يكون ما بعدها خبراً، و هنا وجب قطع الصوت لأن الوقف على "أبي لهب" كافٍ و يكون التقدير، الوعيد لأبي لهب بنار جهنم و الإنكار لزوجته و وعيدها بأنه سيصبح ذلك الحبل الذي كانت تجمع به الحطب جبلاً من النار يُلف حول عنقها. و القراءة الثانية "و امرأته"، فيصبح الوقف على "لهب" غير كافٍ لأنه متعلق بما بعده، و ينتج عنه دلالة أخرى و هي أن حمالة الحطب تصبح نعتاً، و يكون التقدير سيصلى هو و امرأته ناراً ذات لهب.

المبحث الثاني

الإبدال في الحروف

الأنموذج الأول

قال الله تعالى:

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ^ط قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ^ط قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ^ط وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ^ط وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ^ط قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^ط (1)

تقصُّ الآية الكريمة قصّة رجل من بني إسرائيل مرَّ على قرية و هي خاوية على عروشها، فتساءل في نفسه عن كيفية إحياء الله لها، من خلال قوله " أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا " و كلمة موتها تدل على أنّها لم تكن تحوي أدنى معطيات الحياة، كما أنّ هذا الاستفهام يحمل في طياته معنى التعجب لا الإنكار ،فقد تساءل نبيّنا إبراهيم عليه الصلاة و السلام نفس التساؤل حين قال: " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى^ط قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ^ط قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي^ط قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْأً ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا^ط وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^ط " (2)

و السؤال عن الكيفية ليست ضعفاً في الإيمان ،و إنّما هو الإيمان الصادق الذي يطمئن معه القلب و علّم الله سبحانه وتعالى كليهما كلّ حسب الموقف الذي كان فيه ،فأمات الله الرجل مائة عام ثمّ بعثه،و جعله يشاهد بعينه عملية الخلق لقوله تعالى: " وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا"

و وقع التعدّد في قراءة (ننشزها)،فقرأ ابن كثير و أبو عمرو و نافع (ننشزها)،و قرأ الباقون (ننشزها). (3)

- (1) الآية (259)،سورة البقرة.

- (2) الآية (260)،سورة البقرة.

- (3) ينظر ،النشر في القراءات العشر،ابن الجزري،ج2/231.

و النشر: معناه الإحياء لقوله تعالى: "ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ" (1)

و النشر في العظام بمعنى إحياء العظام، فقد ورد في القرآن الكريم لقوله تعالى: "وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا

وَنَسِيَ خَلْقَهُ" قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ" (2)

و كثيرة هي التساؤلات التي طرحت حول كيفية الخلق، فجاءت هذه القراءة لتبين على وجه الإجمال

كيفيتها دون إظهار مراحلها يقول الزجاج: "من قرأ نشرها، فهو من أنشر الله الموتى، أي بعثهم." (3)

و يقول الفراء: "ذهب إلى النشر بعد الطي." (4)

و قد شرح الرازي قول الفراء حين قال: "وذلك أنه بالحياة يكون الانبساط." (5)

أما القراءة الثانية (ننشرها) من النشر.

و النشر: الارتفاع لقوله تعالى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ

فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ" وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا

الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" (6)

ولكن ما علاقة إحياء العظام برفعها ؟

يقول ابن عطية: "و يقلق عندي أن يكون النشور رفع العظام بعضها فوق بعض." (7)

من خلال التقريب الذي بينه ابن عطية تتضح الصورة أكثر و تظهر العملية التركيبية للعظام قبل

عملية الإحياء لذلك اتبعها الله بقوله تعالى: "ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا"، فيكون التصوير الحسي الذي يحول

الكلمة إلى شاشة عرض ثلاثية الأبعاد، و يمكن عرض المراحل كالآتي:

- مرحلة تحريك العظام.

- مرحلة الرفع و التركيب.

- (1) الآية (22)، سورة عبس.

- (2) الآية (78)، سورة يس.

- (3) معاني القرآن للزجاج، تحقيق عبد الجليل شلي، عالم الكتب بيروت، ج1/ص344.

- (4) معاني القرآن للفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، دار السرور بيروت، ج1/ص173.

- (5) التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار الإحياء، بيروت، ج4/36.

- (6) الآية (11)، سورة المجادلة.

- (7) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق المجلس العلمي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ج2/ص298

- مرحلة تكوين اللحم و الأعصاب.

- مرحلة الإحياء الكامل.

لله درّ لفظة واحدة تصنع العجب ،فالقراءتان ليستا مختلفتين بل متكاملتان تكاملاً يجعلنا نقف أمام عظمة القرآن الكريم و عظمة خالقه سبحانه وتعالى، و لو أدرك علماء القراءات حقيقة القراءات ذاتها لما انصرفوا إلى البحث عن القراء و لا تصنيف القراءات بل كانوا ليشتغلوا بما أرادهم الجرجاني أن يشتغلوا به.

و لو تساءلنا لماذا احتوى القرآن على الكثير من الآيات التي تتكلم عن الخلق ،لكان الجواب أنّ أغلبية الكفار و الملحدين أنكروا إعادة الإحياء و البعث من جديد، فنجدهم خاصة في عصرنا يدفعون أموالاً طائلة إلى شركات تعمل على حفظ أجسادهم في ثلاجات ضخمة بعد إفراغها من السوائل ،و هذا العمل مردّه زعمهم أنّ أرواحهم سترجع إلى هذه الأجساد من تلقاء نفسها و أنّ الحياة هي عملية بيولوجية تخضع لقوانين الطبيعة فقط.

الأنموذج الثاني

قال الله تعالى:

"أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ^ج وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ" (1)

سورة المائدة في مجملها خطاب لليهود والنصارى ،أما بالنسبة لهذه الآية الكريمة فإنها موجهة لليهود خاصة اللذين كانوا يتحاكمون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ،و لكنهم لم يكونوا يرضون بحكمه لقوله تعالى: "وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ^ط قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ أَهْدَىٰ وَلَٰئِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ^ل مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ" (2)

رغم أنهم يعلمون أنه الحق من ربهم و لكن البغض و الكراهية تمنعهم من الرضوخ لحكم النبي صلى الله عليه وسلم و الذي هو حكم الله لقوله تعالى: "وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ^ط" (3)

أما بالنسبة لهذه الآية فهي خطاب إنكاري من الله سبحانه وتعالى إلى هؤلاء الذين لا يرضون بحكمه وتعددت القراءة في كلمة (يبغون)، فقرأ ابن عامر بالتاء (تبغون) و قرأ الباقرن بالياء (يبغون). و تحليل القراءة الأولى يوجه الناظر إلى أسلوب بلاغي عظيم و هو الالتفات يقول العلوي: "الالتفات من أجل علوم البلاغة، فهو أمير جنودها..." (4)

و سياق الآية يظهر من خلاله أن الكلام موجّه للغائب ،و فجأة تتغير وجهة السهام الكلامية للمخاطب بأسلوب الاستفهام الإنكاري ،يقول السمين الحلبي: "الالتفات أبلغ في زجرهم و ردعهم، ومباكته لهم، إذ واجههم بهذا الاستفهام الذي يأنف منه ذوو البصائر." (5)

فبعد الاستفهام يأتي المفعول به "حكم الجاهلية"، لأنه المخصوص بالكلام و الجاهلية هنا هي وصف

- (1) الآية (59)، سورة المائدة.

- (2) الآية (120)، سورة البقرة.

- (3) الآية (109)، سورة البقرة.

- (4) الطراز للعلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2/ص131.

- (5) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج2/ص131.

لهم لا للحكم فقط لأنهم مازالوا يعيشون في الضلال الذي ميّز الجاهلية ،و قد أضاف الالتفات طريقة قويّة تهزّ القلوب و النفوس الضالة قبل المؤمنة ،فتحسّ عند تغير الوجهة كأنك كنت تسير في طريق ثمّ انخرقت به إلى وجهة ثانية ،و هذا الانحراف قد يكون له علاقة بانحراف اليهود عن الطريق و الحقّ الذي أمرهم به الله سبحانه وتعالى كما أننا نستحضر الموقف الذي كان فيه اليهود ،فنتصور حضورهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو يحكم بينهم،و يتلو عليهم هذه الآيات بأسلوب الغائب ثمّ ينحدر بهم و يخاطبهم وكأنهم أخذوا صفعَةً على وجوههم.

أمّا القراءة الثانية (بيغون) فجاءت على منوال السياق بأسلوب الغائب و هنا يكون المخاطب هو محمد صلى الله عليه وسلم و هذا الخطاب ليس خطاب لوم،و إنّما هو خطاب رحمة و عطف عليه حيث كان يرهق نفسه بالحسرة عليهم لقوله تعالى: "فَلَعَلَّكَ بَخِيعُ نَفْسِكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا" (1)

و هذه القراءة تكمل الصورة و توضحها أكثر،فالقراءة الأولى كما قلنا تصوّر حضور اليهود في مجلس النبيّ ،أمّا الثانية فتصوّر انصرافهم عن المجلس فصاروا بمثابة الغائب ،وإذا ما ربطنا بين الصورتين فالناتج حركي.

الأنموذج الثالث

قال الله تعالى:

"لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ" (1)

عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من الأحبار ، كعبد الله بن سلام و أسد بن عبيد ، و ثعلبة بن سعيد و غيرهم ،أي لا يستوي من تقدّم ذكرهم بالذم من أهل الكتاب و هؤلاء اللذين أسلموا. (2)

و هذه الآية بمثابة مدح للذين آمنوا،و تثبت لهم و قد تعددت القراءات في (يفعلوا)،و (يكفروه).
فقرأ ابن عامر و ابن كثير ،و أبو بكر عن عاصم و أبو عمرو و نافع بالتاء (تفعلوا)،(تكفروه)
و قرأ الباقر بالياء (يفعلوا)،(يكفروه).

نجد في القراءة الأولى (بالتاء) التفاتاً أيضاً ،فسياق الآية على أسلوب الغائب ثم ينتقل بنا إلى المخاطب يقول أبو حيان:"و الذي يظهر أنّها التفات إلى قوله تعالى:"أمة قائمة"،لما وصفهم بأوصاف جليلة أقبل عليهم تأنيساً لهم ،و استعطافاً عليهم ،فخاطبهم بأنّ ما تفعلون من الخير فلا تمنعون ثوابه ،و لذلك اقتصر على قوله : "من خير"،لأنّه موضع عطف عليهم ،و لم يتعرض لذكر الشرّ. " (3)

هذا ما يظهر من سياق الآية و لكن لو تدبرنا قليلاً لوجدنا في الالتفات تحريكاً لمشاعر الصحابة من أجل المسارعة في فعل الخيرات ،فلو سمع أحدٌ ما هذا الخطاب فإنّ نفسه سترتقي محاولةً تجسيد الوصف الأول ،فأي إنسان إذا بدأت بوصفه مادحاً إياه فإنّه سيصغي لأي أمر تطلب منه أن ينفذه. أمّا القراءة الثانية فجاءت مشاكلةً لأسلوب الآية لكنّها تحمل معنى مكماً للقراءة الأولى،فالآية نزلت

- (1) الآيات (113-114-115)،سورة آل عمران.

- (2) ينظر، تفسير القرآن العظيم،أبي الفداء إسماعيل ابن كثير،دار ابن حزم،ج1/ص 604.

- (3) البحر المحيط،لأبي حيان ،مكتبة النصر الحديثة ،الرياض،ج3/ص36.

مخاطبة لكلّ الناس حضوراً كانوا أم غائبين ، و خطاب الغائب هو دعوة لمن لم يدخلوا الإسلام بعد .
إذاً فالنّص القرآني من خلال هاتين القراءتين ينقل رسالة إلى النبي صلى الله عليه و سلم ليبلّغها للناس
أجمعين .

الأنموذج الرابع

قال الله تعالى:

قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ
 يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (1)

قرأ ابن كثير ونافع وعاصم: "يقض الحق" بالصاد.

و قرأ أبو عمرو و حمزة و الكسائي و ابن عامر: "يقض الحق" بالضاد ، و كانت حجتهم فيها أنَّ
 قراءة ابن مسعود : "يقض بالحق" (2)

و استدلل أبو عمرو على قراءته بقوله تعالى: "و هو خير الفاصلين" قائلاً إنَّ الفصل في القضاء لا في
 القصص ، و استدلوا بقوله تعالى: "وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ
 بِشَيْءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" (3)

و حجة من قرأ بالقصّ قوله تعالى: "إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ" (4)

و مقصودهم أنَّه جاء الفصل في القول لقوله تعالى: "إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ" (5)

إنَّ الظاهر يوحى بأنَّ قراءة (يقض) هي المناسبة لسياق الآية لأنَّ الفصل لا يكون إلّا في القضاء كما
 أمّا على نمط المشكلة و التناسب الذي يعطي ذوقاً يشدُّ أذن السامع و لسان القارئ ، و نحن بهذا لا
 نفضل قراءة على قراءة لأنَّ المعنى الذي توحى به قراءة (يقض) غاية في الجمال و البلاغة ، كيف؟

الآية الكريمة تتحدث على حكم الله ، و القصص بمعنى التتبع لقوله تعالى: "قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ"

فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (6)

- (1) الآية (57)، سورة الأنعام.

- (2) الحجة في علل القراءات السبع، أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي النحوي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية 1971، ج2/ص481.

- (3) الآية (20)، سورة غافر.

- (4) الآية (62)، سورة آل عمران.

- (5) الآية (13)، سورة الطارق.

- (6) الآية (64)، سورة الكهف.

أي أنّ نبينا موسى عليه السلام لما أراد الوصول إلى الرجل الصالح تتبع الأثر و غايته إيجاد الحقيقة التي تعلّمه أنّه مهما أوتي من العلم فهناك من هو أعلم منه، وهذا هو الحقّ الذي أراده الله سبحانه وتعالى كما أنّه من معاني (القصّ) القطع، فالله إذا حكم بين الناس فلا معقّب لحكمه لأنّه قطع الجدل فيه. و لو أردنا تقريب المعنى بمثال من الواقع، نقول أنّ القاضي -و الله المثل الأعلى- إذا أراد أن يقضي بين الناس فإنّه لا يصدر أحكاما هكذا عبثاً و إنّما عليه أن يتتبع الأدلة للوصول إلى الحقائق، فإذا وصل إليها فهنا يأتي الحكم و القضاء.

إذاً فالآية الكريمة تصوّر مراحل إصدار الحكم، و الله عالم الغيب و الشهادة يعلم الحقّ و يعلمه ولا يحتاج إلى تتبع للأدلة و لكن المقصود هو أنّه يري الناس بالأدلة أنّ هذا هو الحقّ و لا داعي للجدال فيه لأنّ الإنسان لا يؤمن إلّا بما هو ملموس و عقلي مثبت بالأدلة، فحين قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "قل إنّني على بينة من ربي"، فهو هنا يقرّ بأنّه علم الحقيقة ممّن يقصّ الحقّ و يقضي به بين الناس.

النموذج الخامس

قال الله تعالى:

هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۖ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (1)

قرأ ابن عامر: "هو الذي ينشركم" بالنون و الشين.

و قرأ الباقون: "هو الذي يُسَيِّرُكُمْ" بالسين و ضم الياء. (2)

و حجة ابن عامر هي قوله تعالى: "يَنَاقِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۚ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا" (3)

و قوله تعالى: "وَمِنْ ءَايَاتِهِ ۚ خَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ" (4)

و البث تفريق و نشر. (5)

و أمّا حجة من قرأ (يُسَيِّرُكُمْ) فهي قول الشاعر:

لَسَيَّانَ حَرْبَ أَنْ تَبُوءُوا بِخِزْيَةٍ وَ قَدْ يَقْبَلُ الضَّيْمُ الدَّلِيلَ الْمَسِيرُ . (6)

و كذلك استدلووا بقوله تعالى: "فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۚ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (7)

- (1) الآية (22)، سورة يونس.

- (2) الحجة في علل القراءات السبع، أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، ج3/ص 184.

- (3) الآية (1)، سورة النساء.

- (4) الآية (29)، سورة الشورى.

- (5) ينظر، الحجة في علل القراءات السبع، ج3/ص 185.

- (6) البيت لزهير بن أبي سلمة، الأشباه و النظائر ج2/ص 399.

- (7) الآية (10)، سورة الجمعة.

و لكن هذه الآية تدعم قراءة ابن عامر أكثر.

قال العلماء⁽¹⁾: يسيّرکم فيها ،أي يجعلکم تسيرون فيها،و يحملکم على السير ،و يمكنکم منه لقوله:

"قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ" (2)

من خلال هذه القراءة (يُسيّرکم) تتجلى لنا قدرة الله سبحانه و تعالى ،فالسير في الأرض هو الماضي فيها ،و هذا السير إنّما هو بقدرته لأنه أولاً جعل لنا الأرض سهلة لقوله: "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ

الْأَرْضَ بَسَاطًا" (3)

وجعل لنا فيها سُبُلًا لقوله تعالى: "لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا" (4)

و السير لا يكون من غير هدى خاصةً في البحر كما أنّ هذه الفلك لا تسير من تلقاء نفسها بل بقدرة الله الذي جعل لنا الرياح محرّكاً لها،و جعل لنا علامات تُهتدي بها لقوله تعالى: "و بِالنَّجْمِ هُمْ

يَهْتَدُونَ" ،و قوله تعالى: "أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ

يَدَي رَحْمَتِهِ ۖ أَءَلَيْهِمْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (5)،و هذا التسهيل كلّه من رحمة

الله سبحانه و تعالى و تسيّره لنا.

و أمّا عن قراءة (ينشركم) ،فهي تبرز أنّ الإنسان من طبيعته أن يسافر و يتنقل بين البلدان طلباً للعلم أو الرزق ،و الله قدر لكلّ إنسان ذلك.

و إذا أردنا الموازنة بين القراءتين تبين لنا ذلك التكامل الذي تتجلى من خلاله قدرة الله سبحانه و

تعالى ،فهو يسيّرنا في الأرض و هذا السير ينتج عنه النشر و التفريق و البثّ ،فيظهر من خلال

الكلمات حركية الناس على الأرض و سعيهم لقضاء حوائجهم التي تتناغم فيما بينها منتجة بحراً من

الدلالات و لا نجد ذلك إلّا في كتاب الله سبحانه وتعالى.

- (1) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، أحمد بن محمد الخراط، مجمع الملك فهد للطباعة و النشر، ص77.

- (2) الآية (11)، سورة الأنعام.

- (3) الآية (19)، سورة نوح.

- (4) الآية (20)، سورة نوح.

- (5) الآية (63)، سورة النمل.

* النموذج السادس *

قال الله تعالى:

"هَذَا لَكَ تَبَلُّوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ^ج وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ الْحَقَّ^ط وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ" (1)

بدأ الله سبحانه وتعالى بالإشارة إلى مكان الحساب بالثواب أو العقاب و تعددت القراءة في كلمة (تبلوا)، فقرأ حمزة و الكسائي (تتلو)، و قرأ الباقون (تبلوا).
أما عن قراءة (تتلو) فجاءت بمعنى تتبع لقل الشاعر:

إِنَّ الْمَرِيبَ يَتَّبِعُ الْمَرِيبَ كَمَا رَأَيْتَ الذَّيْبَ يَتْلُو الذَّيْبَ. (2)

و التلاوة بمعنى تتابع الكلمات وفق نسق مضبوط و تعني القراءة، فكل نفس مقيّدة يوم القيامة بكتاب تقرأه لقوله تعالى: "فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ^ط فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَه" (3)
و قوله تعالى: "يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ^ط فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ^ط فَأُوْلَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا" (4)

فهي تقرأ ما كتبه الملائكة من أعمال حسنة كانت أو سيئة، فهذا الكتاب لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها و وجدت ما عملت النفس حاضراً و هذا المعنى على التلاوة بمعنى القراءة.
أما إذا قلنا تتلو بمعنى تتبع فهنا تصوير حيّ و تجسيد للعمل الذي قامت به النفس على أنه إنسان في هيئة قائد يجرها فإن كان خيراً فهي إلى الجنة تسير و إن كان شراً فهي إلى النار تجر أقدامها متثاقلة.

و أما القراءة الثانية (تبلوا) فمعناها من الإختبار لقوله تعالى: "الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا^ج وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" (5)

- (1) الآية (30)، سورة يونس.

- (2) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، أحمد بن محمد الخراط، ص76.

- (3) الآية (19)، سورة الحاقة.

- (4) الآية (71)، سورة الإسراء.

- (5) الآية (2)، سورة الملك.

و يقول الزمخشري: "كما يختبر الرجل الشيء و يتعرفه، ليكتنه حالته." (1)
 و لكن هل هذا الوقت مناسب للنفس لتختبر الأشياء و تتعرف حقيقتها؟
 إنّ الإنسان في هذا الموقف يرى بعين اليقين لا بالبصر الدنيوي لقوله تعالى: "ثُمَّ لَتَرَوْهَا بِعَيْنٍ
 أَلْيَقِينَ" (2)

فهو في حالة من اليقظة و الانتباه يتفحص ذلك السّجل صفحة صفحة، و سطرّاً سطرّاً لأنّ الموقف
 موقف تحديد مصير، فهو يختبر عن عمله الدّني عمله في الدنيا و هل كلّ الأعمال مسجّلة و من كثرة
 تقليبه يكاد يبليه.
 و لو جمعنا بين الصورتين لتجلّت لنا حقيقة ذلك الموقف و شدّته على النّاس و كأنّنا نشاهد عبر
 شاشة ثلاثية الأبعاد تلك الصورة للإنسان و هو مشفقّ على نفسه يقوده عمله إلى مصيره.

- (1) الكشف، للزمخشري، دار الريان، القاهرة، الطبعة الثالثة، ج2/ص344.

- (2) الآية (7)، سورة التكاثر.

الأنموذج السابع

قال الله تعالى:

"إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ" (1)

قرأ ابن كثير (و لا يَسْمَعُ الصُّمُّ) ، وقرأ الباقون (و لا تُسْمِعُ الصُّمَّ).

في قراءة ابن كثير يبرز لون بلاغي مصوّر، حيث شبه الله الكفار بالصُّم، فكما أنّ الأصم لا يسمع الكلام، فكذلك الكفار، ومن كثرة إعراضهم عن رسول الله صلى الله عليه كانوا يجعلون أصابعهم في أذانهم لقوله تعالى: "صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ

وَبَرْقٌ تَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ" (2)

فصار سمعهم الآن حاسة لا ينتفع بها و الذي لا ينتفع بسمعه هو الأصم.

و كذلك احتوت هذه القراءة لوناً بلاغياً راقياً و هو الالتفات حيث كان يجري الكلام على منوال الخطاب لينتقل بنا إلى الغائب و يجعل التشبيه ضمني تاركاً للقارئ تحديد أركانه محدثاً في ذهنه صورة حسية لهؤلاء البشر، كما أنّه يحمل في طياته التقريع للكفار و الدّم لهم.

أمّا في القراءة الثانية فكان التناسب و المشاكلة على منوال الخطاب لرسول الله صلى الله عليه و سلم، و هو تسلية له، فكما أنّك يا محمد لا تستطيع أن تسمع الموتى فإنّك لا تستطيع إسماع هؤلاء المعرضين عن دعوتك، فحرص الرسول صلى الله عليه وسلم على إبلاغ كلّ الناس جعله يرهق نفسه فوق طاقتها، فجاءت هذه الآية لتخفّف عنه العبء الثقيل، و في نفس الوقت هي تصوّر الحالة النفسية لهؤلاء الكفار حيث صارت قلوبهم كالصخر لقوله تعالى: "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ

ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً" (3)

فهم قد فقدوا الشعور و صاروا كالموتى في القبور لا يصلهم النداء.

و الجمع بين القراءتين و الموازنة بينهما يفيد وجود دلالة ثالثة و هو أنّ الأصم، و الميت، و الكافر لا يفيدون و لا يستفيدون من نعمة السمع، لأنّهم انقطعوا عن العالم الخارجي.

- (1) الآية (80)، سورة النمل.

- (2) الآية (18-19)، سورة البقرة.

- (3) الآية (74)، سورة البقرة.

* النموذج الثامن *

قال الله تعالى:

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ " (1)

تصف هذه الآية الكريمة حال أهل الجنة و هم يسكنون غرفها، و قد تعددت القراءة في كلمة (لَنُبَوِّئَنَّهُم)، فقرأ حمزة و الكسائي بالشاء و الياء (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ)، و قرأ الباقون بالباء و الهمزة.

و القراءة الأولى مشتقة من الفعل ثوى ، يقول الحق سبحانه وتعالى: "وَلَكِنَّا أَزْشَانَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ " (2)

و قال أيضاً: "وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ " (3)

فالتواء من خلال الآيتين يعني الإقامة و الاستقرار، جاء في لسان العرب: "التواء: طول المقام، و أثويت به أطلت الإقامة به." (4)

أما القراءة الثانية فهي مشتقة من الفعل (بَوَّأ) جاء في لسان العرب: "بَوَّأَ إنساناً منزلاً، أي أنزله و بَوَّأَ المنزل له: أي أعدّه، و التبؤء: أن يُعلم الرجل الرجل عن مكان أعجبه لينزله ، و تبؤأه أصلحه و هيئته." (5)

و قال الراغب: " أصل البواء مساواة الأجزاء في المكان ، و بَوَّأت له مكاناً سويته فتبؤأ." (6)

و قال السخاوي: "أنَّ أثويت إنساناً ، إذا أنزلته منزلاً يقيم فيه." (7)

- (1) الآية (58)، سورة العنكبوت.

- (2) الآية (45)، سورة القصص.

- (3) الآية (60) ، سورة الزمر.

- (4) لسان العرب ، لابن منظور مادة (ثوى)، دار صادر ، بيروت، ج14/ص125.

- (5) المصدر نفسه، ج1/ص38.

- (6) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، أحمد بن محمد الخراط، ص90.

- (7) المرجع نفسه ، ص90

ويقول الحق سبحانه وتعالى: "وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبَوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" (1) إنَّ التكامل بين القراءتين يظهر مباشرة من المعنى اللغوي ،و يمثلُ مرحلتين من مراحل الاستعداد لاستقبال الضيف ،فالإنسان إذاً في الحياة الدنيا إذا دعا إليه شخصاً فإنه يلتزم بتكريمه و يقوم بتجهيز المكان الذي سيحلُّ به ،و الله المثل الأعلى فقد وعد الله سبحانه وتعالى عباده الذين آمنوا بأن يعدَّ لهم جنَّات ،فنجده ينقل لنا صورتها التقريبية عبر صور تعلقت في ذهن الإنسان ،فعلى قراءة البواء فإنَّ الله عزَّ وجل قد أوكل لنفسه تجهيز و إعداد الجنَّة بغرف و ما يتناسب مع إكرام الضيف كلُّ حسب مقامه .

و على قراءة الثَّواء تأتي المرحلة الثانية فهذا المكان المجهَّز يحتاج إلى من يقيم فيه ،فبعد أن يأخذ كلُّ مؤمن مكانه في الجنَّة فإنه سيثوي بها مقيماً إقامةً غير محدودة بفترة زمنية ،و هذا تطمين لهم بأن تلك التقلُّبات التي كانت في الدنيا زالت في المقام الذي أنتم فيه .

الله سبحانه وتعالى جعل من خلال هاتين القراءتين القارئ يشترك إلى الجنَّة من خلال أسلوب تحريك المشاعر التي تتظافر منتجة رغبة عارمة للاجتهاد من أجل الوصول إلى ذلك المقام الرفيع ،كما تتجلى رحمة الله في أنه لم يخضع تلك الجنان للقانون الديني المصاحب للتقلبات فجعل فيها خلوداً ما بقيت السموات و الأرض .

و على العموم فإنَّ كلا القراءتين لها أثر نفسي على القارئ الذي يشد سمعه تلك الكلمات المترامية على صفحة الإنتاج الدلالي .

الأنموذج التاسع

قال الله تعالى:

إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ " (1)

كما وصفت الآية السابقة الجنة و أهلها فإن هذه الآية تصف النار و أهلها، و قد تعددت القراءة في كلمة (يغلي)، فقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم (يغلي)، و قرأ الباقر (تغلي).

سنبداً مع شجرة الزقوم قال الواحدي: " و شجرة الزقوم شيء مرّ كربه، يُكره أهل النار على تناوله، فهم يتزقّمونه، و هي على هذا مشتقة من التزقّم، و هو البلع على جهد لكرهتها و تنتهها. " (2)

و قد وصفها الله سبحانه و تعالى في قوله: " طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ " (3)

فوصف المتخيّل بالمحسوس رغم أنّه غير ظاهر، فهي شجرة تخرج في أصل الجحيم، و أغصانها تخرج على دركاتها، و ثمرها كأَنَّهُ رؤوس الشياطين، و قد تعلق في أذهاننا قبورها و كراهيتها، كما تعلق في أذهاننا جمال الحور العين و بهاؤها.

و على القراءة الأولى (تغلي)، فإنّ الفعل مسند إلى الشجرة و المعروف أو المتعلق بذهننا أنّ الغليان للماء و ليس للشجر، فأى حرارة هذه التي جعلت الشجر يغلي كالحمم، إنّ هذا التصوير في الحقيقة يجعل المرء يترنح بين الحياة و الموت لأنّه يتصور ما لا يحتمل العقل تصوره، ثمّ إنّها تغلي في البطن، و لو استحضرنا البطن و الشجر فلا تناسب بينهما، فلنتخيل بطن ذلك الآثم القابع في الجحيم و بطنه فيها شجرة تغلي، لقد ملأ الله سبحانه و تعالى المشهد بالحركة من خلال كلمة واحدة لا غير (تغلي).

و على القراءة الثانية (يغلي) فإنّ الفعل مسند للطعام و هذا الطعام من تلك الشجرة فصار كالزيت أو القطران أو الثّحاس المذاب لقوله تعالى: "ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا " (4)

ولكن لو أردنا تحويل المشهد إلى ثلاثي الأبعاد لقلنا بأنّ الكلام في البداية من خلال قراءة (تغلي) كان على عموم القول، و جاءت القراءة الثانية لتفصّل الأمر، فنرى الآثم و هو يأكل من تلك

- (1) الآية (43-44-45)، سورة الدّخان.

- (2) فتح القدير للشوكاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج4/ص397.

- (3) الآية (65)، سورة الصافات.

- (4) الآية (96)، سورة الكهف.

الشجرة دون توقف حتى صارت كلّها في بطنه لتأتي عملية الهضم و هي المرحلة الثانية من الأكل و التي بها تتحول المواد الصلبة إلى مواد كريهة تعمل في بطنه متحوّلة إلى حمم ، كما نستطيع أن نتصور ذلك الآثم و الحمم تتدفق منه كأنّه بركان.

النموذج العاشر

قال الله تعالى:

"يَنبَأُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ" (1)

ترشدنا الآية الكريمة إلى السلوك الاجتماعي القويم الذي يجب على المسلم العمل به و إلا كان آخر أمره الندامة، والدعوة جاءت موجّهة لطائفة الإيمان و هي الطائفة المخصوصة من الأمة الإسلامية على صيغة التحذير من هؤلاء الذين يمشون بين الناس بالنميمة كما وصفهم القرآن بالفسق.

و قد تعددت القراءة في كلمة (فتبينوا) التي قرأ بها الجمهور، و قرأ حمزة و الكسائي (فتثبتوا). القراءة الأولى مشتقة من الفعل تبين، جاء في لسان العرب: "التبين الإيضاح، و تبين الشيء: ظهر، و استبنت الشيء إذا تأملته حتى يتبين لك، و بان الشيء: اتضح." (2)

و منه البيّنة و هي وضوح الحق لقوله تعالى: "لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ" (3)

و قوله تعالى: "قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ" (4)

من خلال الآية الكريمة فإنّ التبين عكس التشابه الذي هو اختلاط الحق بالباطل، إذاً هذا النبأ قبل التبين يحمل في طياته احتمالين أحدهما حقيقة و الآخر كذب، و الإنسان إذا اختلط عليه الأمر وجب عليه البحث يقول الطبري: "التبين هو التأني و النظر، و الكشف عنه حتى يتضح." (5)

و يقول الطاهر بن عاشور: "التبين طلب بيان الأمور فلا تعجلوا، فتبعوا الخواطر الخاطئة الخاطئة." (6)

- (1) الآية (6)، سورة الحجرات.

- (2) لسان العرب، ابن منظور، ج 13/ص 67.

- (3) الآية (1)، سورة البيّنة.

- (4) الآية (70)، سورة البقرة.

- (5) جامع البيان عن تأويل القرآن، للطبري، دار الفكر، بيروت، ج 5/ص 225.

- (6) التحرير و التنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ج 5/ص 167.

إذاً فالتبيين استظهار الحق من الباطل قبل اتخاذ القرار و ظلم الناس لأن هذا الذي جاء بالخبر فاسق، و الفاسق لا يؤمن له مهما قال من الحق لأن غايته من نقل الخبر ليست إعلام الناس و إنما هو التفريق بينهم.

و القراءة الثانية (فتثبتوا)، جاء في لسان العرب: "تثبت في الأمر و الرأي تأني فيه، و لم يعجل، و استثبت في أمره، إذا شاور و فحص عنه." (1)

يقول الحق سبحانه وتعالى: "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَصُرُّوْا اللّٰهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ" (2) بمعنى يرسخها في الأرض حتى لا تسقطوا أو تزلوا لقوله تعالى: "يُثَبِّتُ اللّٰهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّٰهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّٰهُ مَا يَشَآءُ" (3)

يقول الطاهر بن عاشور: "اطلبوا الثابت الذي لا يتبدل، و لا يحتمل نقيض ما بدا لكم." (4) من خلال ما سبق يتبين أن القراءتين ترتيب لمراحل الوصول إلى الحقيقة فالتثبت يأتي بعد التبيين فيظهر التكامل بين القراءتين و التأمل و التمحيص و أعمال التريث في قطع الأمر هو تبين يقود الإنسان إلى الثبت من الأمر.

- (1) لسان العرب، ابن منظور مادة (ثبت)، ج2/ص19.

- (2) الآية (7)، سورة محمد.

- (3) الآية (27)، سورة إبراهيم.

- (4) التحرير و التنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج5/ص167.

المبحث الثالث

الحرف بين الإثبات و الحذف.

الأنموذج الأول

قال الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ
يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ (1)

تعدُّ سورة الفاتحة من السور التي جمعت في طياتها كلَّ معاني القرآن الكريم، و أسس الدعوة المحمدية ،و ركائز العقيدة الإسلامية حيث تبتدئ بالحمد ،ثمّ الشناء على الله ،ثمّ التمجيد له .
و قد تعدّدت القراءات في قوله تعالى: "ملك يوم الدين" ،فقرأ عاصم و الكسائي (مالك)، و قرأ الباقر (ملك).

تتكون الكلمة من ثلاثة أحرف و هي الجذر اللغوي لها كما جاء في لسان العرب: " ملكت العجين أملكه ملكاً، إذا شددت عجنه، و قويت عليه، قال قيس بن الخطيم:

ملكته بها كفي فأنهزت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها

يعني شددت بالطعنة ،وما تمالك ،أي ما تماسك." (2)

أي أنّها تفيد القوة و التماسك و الشدّ و كلّ هذه الدلالات مترامية بين أحرف هذه الكلمة.
و إذا ما عدنا إلى القراءة الأولى (مالك)، وجدنا لها خصوصية لا تتوفر في القراءة الثانية و هذه الخصوصية تتمثل في أنّ المالك يتصرف في ملكه ،و هي اسم فاعل لمن ملك و قرنها بيوم الدين لأنّ الله سبحانه وتعالى يملك ذلك اليوم و يملك التصرف فيه لقوله تعالى: "يَوْمَ هُمْ بَرْزُونَ^ط لَا تَخْفَى^ط عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ" لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" (3)

و قوله تعالى: "رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا" (4)

و مالك الشيء هو المتصرّف فيه بقدرته و لا يستطيع هذا الأخير أن يقوم بأدنى حركة من دون إذن ماله.

- (1) الآية (1-2-3-4)، سورة الفاتحة.

- (2) لسان العرب ،لابن منظور مادة (ملك)، ج10/ص494.

- (3) الآية (16)، سورة غافر.

- (4) الآية (37)، سورة النبأ

قال تعالى: "قُلِ اَللّٰهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ اِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ" (1)

و ليس المقصود فقط المتصرف في أحكام يوم الدين، بل تطلق الصيغة على عموم الملك بما فيه. أما قراءة (ملك) فيه صفة مشبهة تدل على الثبوت، و هي صفة تطلق على الأمر و الناهي المتحكم في تصرفات الناس يقول الإمام الطبري: "الله ملك يوم الدين خالصاً دون جميع خلقه، الذين كانوا من قبل ذلك ملوكاً جبابرة." (2)

فالله سبحانه وتعالى جعل له في الأرض ملوكاً يتصرفون في ملكه و الفرق بين الصفتين أنّ صفة الملك في الدنيا زائلة بزوال صاحبها، و لكن الله سبحانه وتعالى حي لا يموت فصفة ملكه ثابتة، كما أنّ ملوك الأرض إن تصدّقوا انتقص ذلك من ملكهم، و لكن الله سبحانه وتعالى لا ينتقص ملكه بل يزداد.

إذاً فالقراءتين جمعتا بين صفتين متكاملتين كمال الله سبحانه وتعالى، فهو الملك والمالك في نفس الوقت، ملك لأنه يدبّر شؤون الخلق، و مالكهم لأنه خلقهم و سيعودون إليه كما خلقهم أول مرة.

- (1) الآية (26)، سورة آل عمران.

- (2) جامع البيان عن تأويل القرآن، للطبري، ج1/ص65.

* النموذج الثاني *

قال الله تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
 إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أُولَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا هَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۚ وَإِنْ تَلَوُّا أَوْ تُعْرَضُوا
 فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ (1)

هذه الآيات نداء لمن لبس الإيمان قلوبهم، دعوة من الحق سبحانه وتعالى إلى إتباع الحق و العدل بين الناس ولو كان ذا قرى.

و تعددت القراءة في كلمة (تلوا)، فقرأ الجمهور بواوين (تلوا)، و قرأ ابن عامر وحمزة بواو واحدة (تلوا) و قراءة الجمهور مشتقة من الفعل لوى يلوي و معناه الشئ أو القتل، لقوله تعالى: "وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ" (2)

والمعنى يشنون ألسنتهم لتحريف الكلمة كما كان يقول اليهود لأنبيائهم ومنها قوله تعالى: "﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ تَحَرَّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾" (3)

و بما أن الآية الكريمة تشير إلى الشهادة الحقة، فقد حذر الله سبحانه وتعالى أهل الإيمان من أن ينزاحوا إلى العاطفة و يحكموا أهوائهم فيها و هو بمثابة لي للسان الذي فطر على الشهادة بالحق فتغير فطرته هو لي له و تبديل للحق.

و قراءة (تلوا) فسرها الإمام الطبري بقوله: "و إن تلوا أمور الناس أو تركوا." (4) أما الشيخ ابن عاشور فقد وجه الكلام إلى القضاء قائلاً: "و إن تلوا القضاء بين الخصوم." (5)

- (1) الآية (135)، سورة آل عمران.

- (2) الآية (78)، سورة آل عمران.

- (3) الآية (75)، سورة البقرة.

- (4) جامع البيان، ج5/325.

- (5) التحرير و التنوير، الطاهر ابن عاشور، ج5/ص228.

و المعنى و إن تتولوا القضاء بين الناس فعليكم بالعدل لذلك أتبعها بقوله تعالى: "فإن الله كان بما تعملون خبيراً".

و الموازنة بين القراءتين يبين عن معاني غزيرة متراكمة في حرف واحد، فإيا أيُّها الناس إن توليتم القضاء بين الناس فاعدلوا ولا تعرضوا عن الحق، فإن لوليتم و غيرتم وجهة الحق فإن الله عليم خبير، لذلك فإنَّ القراءتين متكاملتين متتابعتين في المعنى فيهما أمر بالعدل و نهي عن الظلم و الفارق بينهما حرف واحد فسبحان من جعل في الحرف معنيين متناسبين متكاملين.

الأنموذج الثالث

قال الله تعالى:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتِغُوا فَلََكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (1)

إن الآية الكريمة خطاب لطائفة المؤمنين ، و الخطاب جاء مقروناً بإيمانهم حيث ناداهم الله سبحانه وتعالى بما صرّحوا به بألسنتهم و حان وقت التصريح بالقلب من خلال الانصياع لأمر الله .
و قد تعددت القراءة في كلمة (فأذنوا)، فقرأ أبو بكر عن عاصم و حمزة بالمدّ (فأذنوا)، و قرأ الجمهور بالهمزة (فأذُنوا).

و قراءة الجمهور جاءت على صيغة الأمر: من أذن به ، يقال: "أذنت بهذا الشيء أي علمت." (2)
و التقدير اعلموا أيها المخالفون لهذا الأمر أنكم أعلنتم حرباً على أنفسكم من الله و رسوله .
و من الدلالات أيضاً الاستماع ، لقوله تعالى: "إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ" (3)
و كأنه يقول لهم أنني أُنذركم فاسمعوا بأخبار من يستمر على ما هو عليه من أكل الربا.
و إذا قلنا أذن له، أي سمح له بفعل الأمر لقوله تعالى: "وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَئِذْنَ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ؕ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ" (4)

و كأنهم سمحوا للعذاب ليحلّ بهم من خلال عصيانهم لأمر الله سبحانه وتعالى .
و يقول الحق سبحانه وتعالى: "وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ ۚ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (5)

- (1) الآية (278-279)، سورة البقر.

- (2) العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ص21.

- (3) الآية (1-2)، سورة الانشقاق.

- (4) الآية (49)، سورة التوبة.

- (5) الآية (61)، سورة التوبة.

فَالَّذِينَ كَفَرُوا كَانُوا يَقُولُونَ أَنَّ الرِّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ فَالٌّ شَرٌّ فَرَّدَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ هُوَ الْخَيْرُ كُلُّهُ وَالدَّلَالَةُ الَّتِي تَفِيدُهَا الْقِرَاءَةُ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْإِشَارَةِ هِيَ أَنَّهُمْ بِأَكْلِهِمُ الرَّبَّ فَقَدْ فَتَحُوا أَبْوَابَ الشَّرِّ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ قَدْ عَلِمْتُمْ ذَلِكَ.

أَمَّا الْقِرَاءَةُ الثَّانِيَّةُ (فَأَذْنُوا) ، فَهِيَ مِنْ آذَنَهُ بِكَذَا أَيَّ أَعْلَمَهُ ⁽¹⁾ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: "فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ" (2)

أَيَّ أَعْلَمْتُمْ جَمِيعًا بِمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمُوا غَيْرَكُمْ بِأَنَّ مَتَاعِي الرَّبِّ سَتَحِلُّ عَلَيْهِ حَرْبٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِسُولِهِ، وَ هُنَا الْمَغْزَى إِذْ أَنَّ الَّذِينَ سَمِعُوا هَذَا الْخُطَابَ سَيَعْلَمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِذَلِكَ فَتَرْتَعِدُ فَرَائِسُهُمْ كَمَا قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: "فَأَعْلَمُوا نَفُوسَكُمْ هَذَا" (3)

وَ هُنَا إِشَارَةٌ إِلَى خَطُورَةِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ إِذَا حَلَّتْ بِالْمَجْتَمَعِ ، وَمِنْ خِلَالِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ يَظْهَرُ لَنَا ذَلِكَ ، فَالْأَوَّلَى تَحْمِلُ مَعْنَى التَّحْذِيرِ الْمُبَاشِرِ لَهُمْ ، وَ الثَّانِيَّةُ هِيَ دَعْوَةٌ مِنْ أَجْلِ إِعْلَامِ الْآخَرِينَ بِهَذَا الْفَيْرُوسِ الْقَاتِلِ الَّذِي يَنْخَرُ أَرْكَانَ الْمَجْتَمَعِ فَتَظْهَرُ لَنَا رِسَالَةُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَقِرَاءَةُ (فَأَذْنُوا) تَخَاطَبُ الْفَرْدَ فِي حِينَ تَخَاطَبُ قِرَاءَةُ (فَأَذْنُوا) الْمَجْتَمَعَ.

- (1) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج2/ص236.

- (2) الآية (109)، سورة الأنبياء.

- (3) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية، أحمد بن محمد الخراط، ص123.

الأنموذج الرابع

قال الله تعالى:

"وَكَذَلِكَ نُنْصِرُكَ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" (1)

فالكفار و المشركون لم يجدوا باباً إلا و طرقوه من أجل الطعن في الرسالة الإسلامية.
و تعددت القراءة في كلمة (درست) فقرأ ابن عامر (دَرَسْتُ) ، و قرأ ابن كثير و أبو عمرو (دارست)، و قرأ حمزة و الكسائي و نافع (دَرَسْتُ).

يقال: "درس الثوب درساً أي بمعنى بلي وأخلق، و درسته الرّيح أي محته". (2)
فقراءة ابن عامر (دَرَسْتُ) بمعنى صارت قديمةً لذلك في كثير من الآيات يتبع الله سبحانه وتعالى اتهامهم بقوله: "وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا" (3)
و الفعل يقع على الآيات التي جعلوها من الأساطير القديمة التي انمحت و صارت بالية لا فائدة فيها و كأنهم يعلمون ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ،معلنين حرباً نفسية على اللذين آمنوا لتثييط عزيمتهم، فهم نظروا إلى الفكرة و تركوا الغاية لأن كل الأنبياء جاؤوا برسالة واحدة و هي توحيد الله سبحانه وتعالى.

أما قراءة (دارست) فجاءت على وزن فاعل، و الخطاب موجّه للنبي صلى الله عليه وسلم، و المفاعلة تحتل وجود شخص آخر كان يذاكره النبي و يظهر ذلك من خلال قوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا" (4)

و الحقيقة كذلك فمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن يستقي الآيات من نفسه بل علمه ربّه فقولهم فيه جزء من الحقيقة، و الحقيقة الثانية أنهم أقاموا الحجة على أنفسهم فهم يعلمون أنه لا يقرأ و لا يكتب فكيف يتدارس مع شخص آخر؟

و قراءة (دَرَسْتُ) على صيغة الخطاب للنبي بإسناد الفعل إليه حيث يقولون أنه درس كتب الأولين أي كتب أهل الكتاب و هذه الأخبار أتيت بها من عندهم و لا مصدر لك غيرها.

- (1) الآية (105)، سورة الأنعام.

- (2) لسان العرب ، لابن منظور مادة (درس)، ج6/ص79.

- (3) الآية (5)، سورة الفرقان.

- (4) الآية (4)، سورة الفرقان.

و الله سبحانه وتعالى سبق في علمه أنهم سيقولون ذلك "وكذلك نصرّف الآيات" لتدل على الصيرورة.

قال الباقلاني: "من كان يختلف إلى تعلّم علم لم يخف على الناس أمره، و لم يشتبه عندهم مذهبه و قد كان يعرف فيهم من يحسن هذا العلم، و إن كان نادراً، و ليس يخفى في العرف عالم كل صنعة ومتعلّمها، فلو كان منهم لم يخف أمره." (1)

و الجمع بين القراءات الثلاث يظهر أبداع الدلالات، فهي تظهر المشركين يقلبون في الأرض يبحثون عن إبرة يخزون بها الإسلام و المسلمين فأتوا من كلّ الجوانب، أولها توجيه الاتهام للآيات (درست) و، الثاني توجيه الاتهام لقائلها المتعلّم (درست)، و الجانب الثالث لمعلّمها (دارست)، و لكنهم في كلّ مرة يجدون الباب موصداً أمامهم، لأنّ اتهاماتهم لم تبين على أسس منطقية.

- (1) إعجاز القرآن، للباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ص35.

الأنموذج الخامس

قال الله تعالى:

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

تمثل هذه الآيات خروج الجنس البشري عن الفطرة التي فطره الله عليها، و هي خطاب صارخ من لوط عليه السلام لقومه اللذين انحرفوا عن المنهج الرباني.

و وقع التعدد في قراءة (إِنَّكُمْ)، حيث قرأ حفص عن عاصم، و نافع (إِنَّكُمْ)، و قرأ الجمهور (أَنَّكُمْ)

و القراءتان تختلفان في الأسلوب، فالأولى على صيغة الخطاب و الثانية على صيغة الاستفهام. فقراءة الاستفهام هنا ليست للعلم و إنما تفيد التوبيخ و الإنكار، فاستعظم لوط عليه السلام عملهم الديني الذي لا يمت بأي صلة مع العلاقات الاجتماعية، فالله سبحانه وتعالى خلق المرأة لتكون الطرف الثاني المتحمّل لمطالبات الرجل و خلق الرجل ليكون المتحمّل لمطالبات المرأة، فهذه الثنائية هي الفطرة السليمة التي فطر الله عليها بني آدم، و أي تغير فيها سيصيب المجتمع بنوع من الانحطاط الحيواني، و من شأن الاستفهام هنا تشنيع عملهم و التنفير منه موسّعاً درجة فداحتها. و الاستفهام هو من أبلغ الأساليب التي نقيم بها الحجة على الطرف الآخر كونه يحمل في طياته خصوصية بلاغية، و التي من خلالها تتحرك كلّ الحواس لتتلقف الخبر الذي يأتي بعدها، و أي خبر هو إنه الهلاك.

أمّا قراءة الإخبار فهي متناسبة و السياق إذ قال الحق سبحانه وتعالى: "وَلَوْ طَأَّ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۚ

أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ" (2)

و لكن هذه الآية لم تفصح عن نوع هذه الفاحشة تاركة القارئ يتساءل ماذا كان يعمل قوم لوط، كما أنّها حملت استفهاماً إنكارياً بين شناعة الجريمة المرتكبة، فجاءت القراءة الثانية لتكسر تلك الرغبة من خلال تفسير الإبهام، فالمتلقي حين تواجهه بأسلوب الإخبار سيدرك أنّه لا مفر له من مواجهة الحقيقة و ترقب العقاب.

لقد أفادت القراءتين بيان التوبيخ و الإنكار و في نفس الوقت بيان فعلتهم النكراء.

- (1) الآية (81)، سورة الأعراف.

- (2) الآية (80)، سورة الأعراف.

الأنموذج السادس

قال الله تعالى:

"وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ" (1)

تقصُّ الآية الكريمة مشهداً من مشاهد يوم القيامة أين سيقف ذلك الذي تمتع في الدنيا ونسي حظه من الآخرة حتى إذا جاء أمر الله تذكّر.

و قد تعدّدت القراءة في قوله تعالى (أذهبتم)، فقرأ ابن عامر و ابن كثير (أذهبتم) بمزتين و قرأ الجمهور (أذهبتم).

جاءت الصيغة الأولى على منوال الاستفهام الذي يحمل في طياته التوبيخ و الإنكار، و التقدير أذهبتم طيباتكم في حياتكم و تنتظرون الفرج ؟.

إنّه استفهام موجه للقلوب مكسّر لعنجهية النفس التي كانت تتطاول في الدنيا ،فنتصور المشهد و الرسول صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الآيات على أصحابه و كأنّها صعقة كهربائية تحرك الإنسان و تذكره بأنّ الدنيا دار عمل و اجتهاد،و لتصور الموقف يوم القيامة وذلك الإنسان الذليل يقف بين يدي الله واضعاً في حسبانته أنّه ناجٍ من العذاب فتأتي هذه الآية بهذا الاستفهام لتجعله يحمل نفسه على تعذيب نفسه،فالله سبحانه وتعالى له صنفين من العذاب :عذاب للنفس و عذاب للجسد. كما أنّ الآية بدأت بالإخبار (يوم يعرض..) لتتقلب فجأة بأسلوب الالتفات محدثة زلزال لكلّ من يقرأ أو يسمع حتى يظنّ أنّه يعيش ذلك المشهد.

أمّا قراءة الجمهور (أذهبتم) فهي على صيغة الإخبار و تقرير الحقيقة التي تجعل الكافر يتأكد من مصيره لأنّه أفنى طيباته في الدنيا فأنسته ذكر الله سبحانه وتعالى،و لو تدبرنا الآية الكريمة سنلمح فيها صورة بالغة الدقة و هي السرعة في التقرير و الحساب ،و كأنّهم وقفوا بين يدي الله سبحانه وتعالى فعجل بعذابهم دون أن يسألهم ،و هنا تكمن العلاقة بين القراءتين،فالقراءة الأولى هي التي سألتهم وجاءت القراءة الثانية متضمنة الإجابة و تقرير المصير والتقدير:أذهبتم طيباتكم،نعم أذهبوا طيباتهم،فاليوم يجزون العذاب.

- (1) الآية (20)،سورة الأحقاف.

النموذج السابع

قال الله تعالى:

"وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" (1)

تمتدح هذه الآية الكريمة من أحسن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و أثر على نفسه بالغالي و النفيس ، و جاء هذا المديح من ربّ السموات و الأرض الذي وعدهم بجنة الخلد فوصف هذه الجنة بأن قال: تجري تحتها الأنهار، و تعددت القراءة في الآية الكريمة فقرأ ابن كثير : "من تحتها"، وقرأ الجمهور تحتها.

يقول الإمام ابن أبي مريم: "و الفرق بين القراءتين في المعنى: أنه إذا ألحق من أفاد أنّ الأنهار مبتدأ جريها من أسفل الجنّات ، لأنّ من لا ابتداء الغاية، و من نصب و لم يلحق من أفاد أنّ الأنهار جارية من جهة أسفلها." (2)

و هنا يظهر التكامل بين القراءتين فإذا كانت من تفيد ابتداء الغاية فإنّ قراءة ابن كثير تفيد أنّ منابع هذه الأنهار تكمن تحت هذه الجنان ، و على قراءة الجمهور تفيد بأنّ هذه الأنهار مجراها تحت هذه الجنان.

إنّ هذه الصورة التي بين أيدينا من خلال تأمل القراءتين تبرز درجات الجنة فهؤلاء اللذين يرون منبع الأنهار نعيمهم متجدد و درجتهم عالية رفيعة ، اختصهم الله سبحانه و تعالى بهذا الفضل على غرار إخوانهم من المؤمنين و هذا ما بيّنه قوله تعالى: "وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ۖ فِيهَا ۖ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تُكَذَّبَانِ ۖ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۖ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تُكَذَّبَانِ فِيهَا ۖ عَيْنَانِ ۖ تَجْرِيَانِ" (3)

فمنبع العين موجود في الجنة و في أصلها ، و يمكن الاستفادة من القراءتين للدلالة على حركية النهر.

- (1) الآية (100)، سورة التوبة.

- (2) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية، أحمد بن محمد الخراط، ص 136.

- (3) الآية (46-47-48-49-50)، سورة الرحمن.

* الأنموذج الثامن *

قال الله تعالى:

"وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾" (1)

خاطب النبي صالح قومه بهذه الآية في سياق لومهم و التقرّيع لهم بعد أن ذكّرهم بنعم الله عزّ وجلّ و هم قوم (ثمود) الذين كانوا يسكنون مدينة الحجر و يتخذون من الجبال بيوتاً وتعدّدت القراءة في قوله تعالى: "فرهين"، فقرأ ابن عامر و عاصم و الكسائي و حمزة (فارهين)، و قرأ الباقون (فرهين).

و الفاره في اللغة كما جاء في لسان العرب: الحاذق بالشيء. (2)

و قد فسّر الإمام الطبري هذه القراءة بقوله: "إنّ القوم حاذقون بنحتها، متخيرون لمواقع

نحتها، كيّسون." (3)، و هذا ما بيّنه قوله تعالى: "وَتُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ" (4)

ومعنى جابوا هنا أي قطعوا الصخر ونحتوه، وتبيّن قراءة (فارهين) أنّهم كانوا متقنين للحرفة النحت و ليس هذا فقط و إنّما كانوا أذكّاء في اختيار المكان المناسب للنحت و درجة صلابة التربة في ذلك الجبل مما يدلّ على أنّهم تميّزوا في هندسة البناء السابقة لعصرهم فلو نظرنا إلى مدينة البتراء التي هي من عجائب الدنيا لرأينا درجة الإتقان الهندسي في البناء.

أمّا قراءة (فرهين) فهي من الفره: "أي الأشر و البطر، ورجل فره أشر." (5)

و فسرّها الإمام ابن كثير على أنّهم كانوا يتخذون تلك البيوت أشراً، و بطراً، و عبثاً، أي من غير حاجة إلى سكناها لقوله تعالى: "أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ" (6)

كما فسرّها البعض على أنّها من الفره و العيش في النعيم لقوله تعالى: "أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا

ءَامِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَخَلٍ طَلْعَهَا هَٰضِمٌ" (7)

- (1) الآية (149)، سورة الشعراء.

- (2) لسان العرب، ابن منظور مادة (فره)، ج13/ص522.

- (3) جامع البيان، للإمام الطبري، ج19/ص101.

- (4) الآية (9)، سورة الفجر.

- (5) لسان العرب، مادة (فره)، ج13/ص522.

- (6) الآية (128)، سورة الشعراء.

- (7) الآية (146-147-148)، سورة الشعراء.

وقد فسرهما ابن مجاهد بقوله: "معجبين بصنعتهم".

وبالنظر إلى القراءتين نجد أنّ إحداهما تمثّل السبب و الأخرى تمثّل النتيجة، فقوم صالح كانوا متمكّنين في صنعتهم وعملهم الذي كانوا يباهون به بين الأمم، و لتحقيق ذلك كانوا يعمّرون في الأرض بالبنين لأنّ البنية التحتية لأي بلد تمثّل الوجه الحقيقي للتطور و الازدهار، هذا الأمر حقّق لهم كلّ متطلبات الحياة فعاشوا حياة الترف و البذخ الأمر الذي أنساهم ذكر الله سبحانه وتعالى، لأنّ الإنسان الفره دائماً ما نجده يستغني بعلمه وذكائه لقوله تعالى: "كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ" (1) أنّ

رَّأَاهُ اسْتَغْنَى (1)

فهم رأوا بذكائهم أنّهم استغنوا فطغوا في الأرض و القراءتان تصوّران ذلك.

- (1) الآية (6-7)، سورة العلق.

* الأنموذج التاسع *

قال الله تعالى:

"النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ (1)

لقد توعد الله سبحانه و تعالى من أشرك به و جعل نفسه ربا يُعبد بأشد العذاب يوم القيامة. تعددت القراءة في كلمة (أدخلوا)، فقرأ ابن عامر ابن كثير و أبو عمرو عن عاصم و أبو عمرو بوصل الهمزة و ضمّ الخاء (أدخلوا)، و قرأ الباقون بهمزة القطع و كسر الخاء (أدخلوا). وقراءة القطع (أدخلوا) تفيد الأمر الموجه إلى ملائكة العذاب لقوله تعالى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًّا أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" (2)

فهم ينتظرون فقط أمر الله لينفذوه، ولكن هذا الأمر خصّ بطائفة معينة إثم آل فرعون، لأنهم يعدّون قبل قيام الساعة (النار يعرضون عليها)، وهذا العرض هو تعذيب نفسي قبل أن يكون تعذيباً حسيّاً و لكنهم لم يدخلوها ليأتي الفعل (أدخلوا) المصاحب لقيام الساعة فيذوقوا العذاب الحسي، و هذا إشارة إلى أنهم لن ينتظروا مع الأقوام الأخرى للحساب، كما أنّ الفرق بين (أدخلوا) و (أدخلوا) واضح جداً من ناحية الصوت ففعل القطع يحمل كلّ أنواع الشدة في الأمر و الغضب، مبرزاً نوعية العذاب و حال المعذب.

و جاءت القراءة الثانية (أدخلوا) و هي تشترك مع سابقتها في صفة العذاب و لكن الأمر موجه باسمه إلى الطائفة المخصوصة بالعذاب (آل فرعون)، وهذه القراءة تزيد عن سابقتها كون النداء هنا على الأشهداء ما يزيد المشهد خوفاً و رهبة، و يزيد آل فرعون بؤساً وندماً، و الملاحظ في الأمر أنّ الإنسان يلبي النداء إذا كان فيه خيراً له، فكيف يدخل آل فرعون العذاب بأقدامهم؟ تشير القراءة هنا إلى سلب الإرادة منهم وتحكم الجوارح بهم لأنّها منصاعة لأمر الله فلا مفرّ لهم منه فتلك النفس التي كنت تشاظرها الرأي في الدنيا تفودك يوم القيامة إلى المصير المحتوم.

- (1) الآية (46)، سورة غافر.

- (2) الآية (06)، سورة التحريم.

الأنموذج العاشر

قال الله تعالى:

"أَفْتَمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ" (1)

تشير الآية الكريمة إلى مشهد من مشاهد الإنكار و التكذيب التي كانت قريش تواجه بها رسالة الإسلام ،فبعد إن قصّ عليهم حادثة الإسراء و المعراج استخفوا به و استهزءوا بقوله رغم ما جاءهم به من دلائل و براهين.

وتعددت القراءة في قوله تعالى (أفتمرونه) ،فقراً حمزة و الكسائي (أفتمرونه) ،و قرأ الباقون (أفتمارونه).

و بالعودة إلى معاجم اللغة العربية نجد أنّ جذر القراءة الأولى من الثلاثي (مرا): مريته حقّه ،أي جحدته إيّاه. (2)

و هذا الأمر كان معروفاً لدى كفار قريش ،فدرجة إنكارهم لما جاء به محمد صلى الله عليه و سلم جعلتهم لا يكذبون فقط ما يقول لهم بل انتقلوا على أمر أعظم من هذا و هو تكذيبهم له فيم يرى،و تكذيب الإنسان في حاسة من حواسه دليل على أنّك تجحده حقّه في كلّ شيء،و قد عدّي الفعل (بعلى) ما حمّله معنيين:معنى الجحود و التكذيب ،و معنى المغالبة يقول الطاهر بن عاشور:"تعديّة الفعل بحرف الاستعلاء لتضمنه معنى الغلبة :أي هبّكم غالبتموها على عبادتكم الآلهة،وعلى الإعراض عن سماع القرآن وغير ذلك ،أتغلبونه على ما رأى ببصره." (3)

أمّا القراءة الثانية(أفتمارونه) فجاءت على منوال سابقتها و لكن بمعنى تكميلي و تصوير لمشهد حيّ ،وهي من :ماراه يماريه مماراة ،أي جادله وحاججه.(4)

و يقال للمناظرة (مماراة)،لأنّ كلّ واحد (يمتري) الآخر لاستخراج ما عنده لذلك يقال: مري الناقة،أي استخراج ما في ضرعها من لبن.

و إذا كان الأمر كذلك فإنّ القراءة أضافت لوناً آخر من ألوان الجحود الذي واجهت به قريش محمد صلى الله عليه وسلم ،فهم لم يكذبوه فقط بل راحوا يجادلونه جدالاً واسعاً من خلال التساؤلات التي

- (1) الآية (12)،سورة النجم.

- (2) لسان العرب ،مادة (مرا)،ج15/ص278.

- (3) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية،أحمد بن محمد الخراط،ص 149.

- (4) ينظر: الدرّ المصون ،ج10/ص98.

تحمل في طياتها التكذيب ومحاولة طمس الحقائق .
إذاً فالقراءتين متكاملتين تكاملاً لفظياً و معنوياً ، و القراءة الثانية هي تحقيق للأولى ، و القراءة الأولى
نتيجة للثانية.

المبحث الرابع

الإبدال في الحركات الإعرابية.

* الأنموذج الأول *

قال الله تعالى:

"فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (1)

لما خاطب الله الملائكة قال لهم إني جاعل في الأرض خليفة و لكن لم يوحى إليهم كيفية تمام أمر الخلافة، فجعل الأمر تعليمي، فقال لآدم لا تأكل من هذه الشجرة، ولكنه عصى ربه و أطاع الشيطان فعلمه الله سبحانه وتعالى التوبة من الذنب و أعلمه أنّ الشيطان عدو مبين لك و لذريتك و كانت هذه الآية هي أول درس تلقاه آدم من ربه و كان كلمات، و تعددت القراءة في هذه الآية فقرأ ابن كثير بنصب (آدم) و رفع (الكلمات) ، و قرأ الباقون برفع (آدم) و نصب (الكلمات).

و التعدد في الفاعلية و المفعولية بين الكلمات و آدم، ففي القراءة الأولى نصب آدم على أنّ الكلمات هي التي تلقتة و جاء الفعل (فتلقى) على صيغة المذكر لأنّ الكلمات مؤنثة مجازياً، و الدلالة الناجمة تبرز المشهد و كأنّ الكلمات شخص تلقى آدم و حضنه و ضمّه بعد أن لقيه، و كأنّ آدم كان يبحث عن يواسيه في المصيبة التي هو فيها بعد معصية الله، يبحث هنا و هناك فلا يجد أحداً، تُظلم الدنيا في وجهه، و ينقطع نفسه لأنّه يظن أن لا ملجأ من الله إلاّ إليه، و لكنّه عصى أمر من يلجأ إليه فأين المفر، و فجأة تبرز كلمات التوبة لتعلمه أن لا يقنط من رحمة الله تعالى، و المشاهد أنّ المفعول تقدّم على الفاعل لأمرين:

أولهما:

لإبراز أنّ آدم هو من كان يبحث عن مفر من عقاب الله تعالى.

ثانيهما:

لأنّ المعنى بالأمر هنا ليس الكلمات و إنّما آدم عليه السلام، و معها يبرز أمر آخر و هو أنّ آدم سارع في التوبة و لم يترث، و ظهر ذلك من خلال إتياع الفعل (فتلقى) الذي يمثل التوبة لصاحب المعصية.

أما فيم يتعلّق بالقراءة الثانية فإنّ الدور ينعكس فيصبح الذي كان فاعلاً مفعولاً، و الذي كان مفعولاً يصبح فاعلاً، و الأمر منوط بأنّ آدم هو من تلقى الكلمات و لكنّه تلقاها من ربه، فحفظها و فهمها و عجل بالتوبة بها.

- (1) الآية (37)، سورة البقرة.

و لكن لا يتوقف الأمر عند هذا الحد فقط ، و إنما يتجاوز الكلمات في حد ذاته ، فالله سبحانه وتعالى سبق في علمه أن آدم سيذنب حين قال: "إني جاعل في الأرض خليفة" ، و لم يقل في الجنة ، و إنما كانت المعصية درساً له لما سيلقاه في الأرض من عدوه اللدود إبليس لعنه الله أو هي تدريب على المعركة التي سيخوضها ضد الشيطان ، فجهّزه الله بكل أنواع الأسلحة و أهمها الشحن المعنوي الذي تفيده التوبة .

ومن تضافر القراءتين يبرز لنا ما خفي في كل قراءة على حدا ، إنه تعبير عن الفرحة العارمة التي وجدها آدم حين تاب إلى ربه ، إنها كلمات و لكن ليست كسائر الكلمات ، بل هي الروح الجديدة التي نفخها الله في آدم بعدما احترقت روحه بالمعصية فالتوبة إحياء للقلب و محو للذنوب ، إذن تلقي آدم للكلمات هو توبة ، و تلقي الكلمات لآدم هو الدرس .

الأنموذج الثاني

قال الله تعالى:

" أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ^ط وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ^ط إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ (1)

صوم رمضان من العبادات العظيمة التي أخفى الله أجرها و جعلها له، و لكن الإسلام دين يسر و ليس دين عسر كما يدعي بعض المتخاذلين ، فلمن لم يطق الصيام لمرض أو علة جعل له الله من رحمته مخرجاً و كفارة .

و تعددت القراءة في قوله تعالى: " فدية طعام " بالرفع الفدية و جرّ الطعام، و هي قراءة نافع و أبو جعفر و ابن ذكوان، و قرأ الباقر (فدية) بالتنوين و طعام (بالرفع).

قراءة التنوين يكون الطعام بدلاً من فدية ، و في ذلك تبين للفدية ما هي، فيكون معنى القراءة أنّ الفدية طعام لاغير لأنّ البدل و المبدل بمعنى واحد.

و أمّا قراءة الإضافة فهي تبين أنّ الفدية مخصوصة بالطعام فقط لأنّ الفدية إسم للقدّر الواجب، و الطعام يعمّ الفدية وغيرها .(2)

و بينهما يتجلى المعنى المراد و هو التيسير على الأمة المحمدية ، فقراءة التنوين تجعل الطعام نوعاً من الفدية دون حصرها ، و قراءة الإضافة كما سبق و أشرنا تفسير و تبين لمعنى الفدية و نوعها.

- (1) الآية (184)، سورة البقرة.

- (2) البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، دار إحياء التراث، بيروت الطبعة الثانية، (1411هـ/1991م)، ج2/ص37.

* الأنموذج الثالث *

قال الله تعالى:

"هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ" (1)

إنَّها مشهد من مشاهد يوم القيامة التي يتجلى فيها الله على عباده دون تجسيد ولا تشبيه ليس كمثله شيء و هو السميع العليم، ففي أرض المحشر أين يقف النَّاس يترقبون مصائرهم التي أمرها بين يديه، و المعنى من الفعل (يأتيهم) ليس متعلقاً بالله لأنَّ الله لا يأتي و إنما كلهم آتيهم يوم القيامة، فالفعل متعلق بيوم الحساب.

و تعددت القراءة في كلمة (ملائكة)، فقرأ أبو جعفر بالجر، و قرأ الباقر بالرفع. (2)
فقراءة الجر عطف على الغمام أو الظلل ومعناها كما جاء في تفسير الطبري و ابن كثير: "هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله تعالى في ظلل من الغمام و في الملائكة." (3)
و أمَّا قراءة الرفع ففيها إضافة الملائكة إلى الله تعالى، حيث أنَّ الملائكة تحمل عرش الرحمن، و الإتيان كما قلنا يليق به وحده.

رغم أنَّ الآية تتعلق بمشهد من الغيب و تتعلق به سبحانه وتعالى و لا يمكن الخوض فيها إلا بمقدار ما تيسر فإنَّ القراءتين تصوّران مشهداً عظيماً من مشاهد يوم القيامة ترتعد له الفرائس بمجرد التفكير في الأمر.

- (1) الآية (210)، سورة البقرة.

- (2) النشر في القراءات العشر، ج2/ص227.

- (3) تفسير ابن كثير، ج1/ص236.

* النموذج الرابع *

قال الله تعالى:

" وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّمَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَزِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ (1)

تشير الآية الكريمة إلى الأسس التي تبنى عليها العلاقات الأسرية، حيث جمعت كل النواحي فهي تعتبر دستور الأسرة الأول، وقد تعددت القراءة في كلمة (تضار) فقرأ ابن كثير و أبو عمرو بالضم (تضار)، وقرأ الباقون بالنصب (تضار).

أما قراءة النصب فقد جاءت على صيغة النهي، فالراء الأولى سكنت للإدغام و الراء الأخيرة سكنت للحزم فالتقى الساكنان فتحرك الأخير منهما بالفتح⁽²⁾، و الآية تنهى الأبوين على أن يستعملوا الولد لتحقيق الضرر لبعضهما يقول الشيخ ابن عاشور: " و لم تعطف على الجملة التي قبلها، تنبيهاً على أنها مقصودة لذاها. " (3)

فمن الأزواج من يستخدم الولد كوسيلة للضغط على الطرف الآخر و إخضاعه لقوله تعالى: "أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ" (4)

أما قراءة الضم فهي إشارة إلى الولد بحد ذاته، أي أنه يجب الفصل بين المشاكل الزوجية داخل الأسرة و بين مصلحة الولد، فإن أي ضرر بين الوالدين قد ينزاح إلى الطرف الثالث و هو الأولاد، و هذا ليس من الدين في شيء و ليس من أخلاق المسلمين، و لا من باب الإنسانية أن يستخدم الولد وسيلة للضرر.

- (1) الآية (233)، سورة البقرة.

- (2) الموضح في علل القراءات و إعرابها، أبي علي الحسن الفارسي، ج1/ص329.

- (3) التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج2/433.

- (4) الآية (06)، سورة الطلاق.

إنّ المعاني الجليّة التي تبرز من الجمع بين القراءتين توحى بمدى الإعجاز الذي تكتنفه الكلمة القرآنية، فهي كلمة واحدة و لكنّها غزيرة المعاني و الدلالات، و فيها كلّ التوجيهات التي تساهم في استمرار الأسرة المسلمة مراعية حقوق كلّ فرد فيها الأب، الأمّ، و الأبناء.

ونلاحظ في الآونة الأخيرة حملة تحت عنوان قانون الأسرة الذي يحاول من خلاله المشرّع الثاني تغليب العقوبة على مصالح الأسرة، و الذي كان من أول نتائجه التفكك الأسري الذي لا يمكن معالجته إلاّ بالعودة إلى قانون الأسرة الذي شرعه المشرّع الأول و الأخير من خلال القرآن الكريم، فالله سبحانه وتعالى سنّ لكلّ فرد في الأسرة حقوقاً و واجبات تتلاءم و استمرارية العلاقات الاجتماعية.

* الأنموذج الخامس *

قال الله تعالى:

"وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا" (1)

إنَّها تطمين لكل من لبس الإيمان بقلب خاضع لله سبحانه وتعالى أنَّه ما من عمل يقوم به إلاَّ و وافاه الله حسابه كاملاً.

و تعددت القراءة في كلمة (يخافُ)، فقرأ ابن كثير بالجزم (فلا يَخَفُ)، و قرأ الباقون بالضم (فلا يخافُ) و قراءة الجزم تفيد معنى حرف اللام هنا (لا) التي تفيد النهي ، و التقدير : فلا تخفْ على الأعمال التي قمت بها أيُّها المؤمن ، و قد يحمل معنى الإخبار على الحقيقة بأنَّ المؤمن يوم القيامة آمن لقوله تعالى: "أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (2)

لأنَّ الذي سيوفيك عملك يوم القيامة ليس ذلك الإنسان الذي ربما تعودت أن يجحدك من عملك و يسلبك لمصلحته ، و لكنك ستقف بين يدي الله سبحانه وتعالى الغني عنك وعن عملك فهو العزيز ، و يفيد معنى النهي تمجيذاً لله و تنزيهاً له عن بعض الصفات التي لا تليق به جلَّ في علاه. أمَّا قراءة الرفع فقد رأى فيها النحاة نكتة ، حيث قالوا بأنَّ الفاء ليس من مواضعها أن تقتزن باللام في جواب الشرط فقالوا أنَّ ثمة جملة إسمية محذوفة مقدرة كالأتي: فهو لا يخاف ويكون المعنى المتشكّل نفي الخوف عن المؤمن الذي يعمل الصالحات. (3)

و لكن فيها لمحة أخرى و هو أنَّ جواب الشرط محذوف ، و يكون المعنى أنَّ المؤمن الذي يعمل الصالحات عدم خوفه محقق مقرر ، فيكون المعنى على الإخبار.

و لكن بالتدبر العميق البعيد عن ضغط قواعد النحو نجد لمحة رائعة ، و هي أنَّ قراءة الجزم تفيد إخبار المؤمن أنَّه لن يخاف في المستقبل و هو واقف يوم القيامة بين يدي الله ، لأنَّ الله سيؤمّنه من الفرع ، أمَّا قراءة الرفع فهي تفيد الإخبار بأنَّ هذا المؤمن يعيش مطمئن البال في الدنيا لقوله تعالى: "لَهُمْ

الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ" (4)

- (1) الآية (112)، سورة طه.

- (2) الآية (62)، سورة يونس.

- (3) مفتاح العلوم للسكاكي، تحقيق نعيم زرزور ندار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1407هـ، ص218.

- (4) الآية (64)، سورة يونس.

* النموذج السادس *

قال الله تعالى:

"إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا^ط وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ" (1)

تبرز الآية الكريمة رحمة الله بعباده الذين آمنوا إذ أنه يدخلهم الجنة و أسند الفعل إليه مبرزاً درجة تكريمه لهم و مقامهم عنده ، فالضيف الذي يدخله صاحب القصر ليس كالذي يدخله خدم ملك ذلك القصر و هذا من كرم الله سبحانه وتعالى، كما أنّها تبرز أنواع هذا التكريم الذي يلقونه من ربّ العزة إذ يزيّنهم بالحليّ رجالاً كانوا أو نساءً، و قد تعددت القراءة في قوله تعالى (لؤلؤًا)، فقرأ عاصم و نافع بالنصب (لؤلؤًا)، و قرأ الباقون بالكسر (لؤلؤ).

فأمّا قراءة النصب فجاءت على سياق نصب الأساور ، و التقدير: يحلّون أساور و لؤلؤًا أمّا النكتة في زيادة (من) فيفسرها الطاهر بن عاشور بقوله: "و من في من أساور ، زائدة للتوكيد." (2)

و لكن ما نشير إليه في زيادة (من) هو إبراز الأنواع المختلفة للأساور التي يزينون بها ، فهي مختلفة الشكل و اللون و المادة كلّ حسب ذوقه ، و أنّه لكلّ يوم زينته التي تختلف عن سابقتها ، و لكلّ مجلس أساوره الخاصة به ، و هذا ما لمح إليه الطاهر بن عاشور حين قال إنّ الفعل (يحلّون) يدلّ على النعيم المتجدّد، فمرة أساور من ذهب و مرة أساور من اللؤلؤ.

وعلى قراءة الجرّ (لؤلؤ)، فإنّ اللؤلؤ معطوف على الذهب و يكون تقدير المعنى: أنّ هذه الأساور مصنوعة من اللؤلؤ و الذهب معاً ، فيبرز لنا نوع جديد من الأساور التي يحلّون بها ، بالإضافة إلى أنّ لباسهم من الحرير.

إذاً فالقراءتان تفيدان إبراز النعيم المتجدّد في الجنة التي وعد الله عباده.

- (1) الآية (23)، سورة الحجّ.

- (2) التحرير و التنوير، ج 17/ص 232.

* الأنموذج السابع *

قال الله تعالى:

"وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ" (1)

تأتي هذه الآية الكريمة في مقام الردّ بالقسم المنسوب إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم على الذين كفروا و أنكروا قيام الساعة ملحقاً قسمه بالتعظيم لله عز وجل من خلال صفة (عالم) التي تعددت القراءة فيها، فقرأ ابن عامر و نافع بالرفع (عالم) ، و قرأ ابن كثير وعاصم و أبو عمرو (عالم)، و قرأ حمزة و الكسائي (علّام).

أما قراءة (عالم) فجاءت على أنّها بدل من قوله تعالى: "ربي" المجرورة بواو القسم، أو على النعت لها. و على تقدير كونه نعتاً فلا بد من تقدير تعريفه، لأنّ كلّ صفة يجوز أن تتعرّف بالإضافة إلى الصفة المشبهة⁽²⁾ الدالة على الثبوت ، و قد أفادت هذه القراءة إثبات صفة من صفات الله يقول ابن عاشور: " و في هذه الصّفة إتمام لتبيّن سعة علمه. " (3)

أما قراءة الرفع (عالم) فجاءت مقطوعة عمّا قبلها "ربي" المجرورة بواو القسم ، في مقام المدح و التعظيم يقول الفارسي: "إذا قطعت صفات في معرض المدح أو الذم ، فالأحسن أن يخالف في إعرابها.. لأنّ المعاني عند اختلافها تتنوع وتفتن... " (4)

و ليس هذا الغرض منها فقط و إنّما توجيه ذهن القارئ إلى الصفة بالالتفات الحركي ، و لكنّه سبق الردّ عليهم ثمّ ابتدأ بالتعظيم و هذا حتى يؤكد السابق باللاحق ، فألحقها بعلمه ليدلّل على أنّ عدم علمهم بها ليس دليلاً على عدم وقوعها.

أما قراءة (علّام) على صيغة فعّال للدلالة على التكثير ، أي أنّه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض و لا في السماء ، فعلمه أحاط بكلّ شيء فقد يكون الإنسان عالماً ولكنّه ليس علّاماً.

- (1) الآية (03)، سورة سبأ.

- (2) الدرّ المصون ، ج 9/ص 148.

- (3) التحرير و التنوير، ج 22/ص 142.

- (4) الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي، ج 3/ص 209.

لأنّ علمه محدود و هو لا يعلم و لا يعلم إلّا ما علّمه الله سبحانه وتعالى، و مع تظافر القراءات فيم بينها فإنّها تنتج كمّاً هائلاً من المعاني و الدلالات التي تصبّ كلّها في إعلام هؤلاء الجاحدين بأنّ علم الله واسع واقع محيط بكم أينما كنتم لقوله تعالى: " عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٦٦﴾ إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا لِّیَعْلَمَ ﴿٦٧﴾ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٦٨﴾ (1) "

- (1) الآية (26-27-28)، سورة نوح.

* الأنموذج الثامن *

قال الله تعالى:

"يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ" (١)

تخاطب الآية الكريمة الجنّ و الإنس ،بأنّهم لن يستطيعوا النفاذ من أقطار السموات و الأرض هرباً من الله سبحانه وتعالى و عذابه.

و عن ابن عباس رضي الله عنه أنّه قال: "الشواظُّ هو لهب النَّار." (2)

و قال أيضاً: "الشواظُّ الدُّخان"، و قال الضحّاك: "شواظ من نار، سيل من نار." (3)

و في مسائل ابن الأزرّق لابن عباس رضي الله عنهما عن الشواظ قال: "هو اللهب الذي لا دخان معه" ثمّ سأله عن (النحاس) فقال: "هو الدُّخان الذي لا لهب معه." و استشهد بقول الشاعر:

يَظَلُّ يَشْبُ كَيْراً بَعْدَ كَيْرٍ و يَنْفَخُ دَائِباً لَهَبُ الشَّوَاظِ. (4)

أمّا فيم يتعلق بالقراءات فقد تعدّدت في كلمة (نحاس) ،فقرأ ابن كثير و أبو عمرو بالخفض (نحاس)، و قرأ الباقر بالرفع (نحاس).

و على قراءة الخفض فإنّ المعنى المتولّد يبين عن تركيب الشواظ و تبيان صفاته الخارجية إذ أنّه يتشكل من النحاس بالدرجة الأولى، و هذا النحاس ملتهب ذائب و هذا ما يشير إليه لفظ النَّار، إنّ العذاب التي توعده به الله سبحانه وتعالى الإنس و الجنّ الذين يظنون أنّهم سيفرون من العذاب حارق خانق.

و على قراءة الرفع فهنا يتجلى نوعين من العذاب،العذاب الأول نار حارقة خالية من الدخان تتلظى محرقة كلّ من يحاول الهرب، فإذا تجاوزوا هذا النوع يظهر عذاب آخر من الدخان الذي يبعثه النُّحاس فيجعلهم يتلوون و يضطربون.

و الجمع بين القراءتين يحدث نوعاً من العمليات الكيميائية التي لا نراها إلّا في المصانع و المخابر، فالقراءة الأولى توحى بذوبان النحاس عند بلوغه درجة الانصهار فيبدأ هذا العنصر الكيميائي

في إطلاق الدخان، إذا فالقراءتين متكاملتين تكامل العملية الكيميائية.

- (1) الآية (35)، سورة الرحمن.

- (2) جامع البيان، ج 27/ص 141.

- (3) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية، أحمد بن محمد الخراط، ص 228.

- (4) الإعجاز البياني للقرآن و مسائل ابن الأزرّق، عائشة عبد الرحمن، دار المعارف مصر، ص 285.

* الأنموذج التاسع *

قال الله تعالى:

"يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانُ مُخَلَّدُونَ ﴿٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ ﴿٩﴾ وَفَنِكَهَتْ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿١١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿١٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿١٣﴾" (1)

إنَّه تصوير حيٍّ للحياة في الجنة ونعيمها، حيث يشعر القارئ بتراتيل المؤمنين الجالسين على الأرائك و الغلمان يطوفون حولهم يلبون رغباتهم من شراب أو طعام، و قد تعددت القراءة في قوله تعالى: "وحور عین"، حيث قرأ حمزة و الكسائي بالخفض (وحورٍ عین)، و قرأ الباقون بالرفع (وحورٍ عینٌ)، و لكلّ قراءة مغزى ومعنى أفادته.

فقراءة الرفع فيها عطف على الولدان و يكون التقدير أنّ الولدان يطوفون بالأكواب و الأباريق، و في نفس السياق تطوف الحور العين عليهم، و هنا نوعين من النعيم و التنعم، نعيم حسي بما يناله المؤمن من الأطعمة و الأشربة اللذيذة، و نعيم معنوي يناله البصر من جمال الحور العين، يقول السمين: " و هو للخدمة أبلغ، لأنهم إذا خدمهم مثل أولئك فما الظن بالموطوءات؟" (2) ورأى مكّي بأنّ الحور العين لا يطاف بهنّ على المتنعمين، و إنّما قدّر العطف حملاً على المعنى، فرأى بأنّ معنى يطوف عليهم ولدان مخلصون بأكواب أي عندهم أكواب، فيكون المعنى و عندهم حور. و يرى الفارسي بأنّه يجوز عطفها على الضمير في (متكئين)⁽³⁾، في قوله تعالى: "مُتَكِّينَ عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ ﴿١٣﴾"، أي أنّهم متقابلين مع الحور العين على السرر و الغلمان يطوفون عليهم يخدمونهم، إنّ النعيم الدّي يطمح إليه كلّ مؤمن كونه يلي كلّ الرغبات البشرية. أمّا قراءة الخفض فجعلت الحور العين معطوفة على الأكواب و الأباريق التي يطوف بها الولدان، فيكون التقدير أنّهم يطوفون بالحور العين على أهل الجنة و قد أجاز ابن كثير هذا حين

- (1) الآية (17-18-19-20-21-22-23)، سورة الواقعة.

- (2) الدرّ المصون، ج10/ص203.

- (3) الحجة في علل القراءات، ج6/ص257.

- (4) الآية (16)، سورة الواقعة.

قال: "أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون الحور العين، و لكن يكون ذلك في القصور." (1)
ولكن الأقرب هو ما أشار إليه الله بقوله تعالى: "حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَكِّينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ" (2)

فالحور العين متكئين على الأرائك مع المؤمنين و الولدان يطوفون عليهم، و مع اجتماع القراءتين تبرز أنواع جديدة من النعيم الخالد .

- (1) تفسير ابن كثير، ج13/ص362.

- (2) الآية (72-73-74-75-76)، سورة الرحمن.

* الأنموذج العاشر *

قال الله تعالى:

"يَنَّايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ" (1)

إنَّ الله سبحانه وتعالى غني عن الناس أجمعين و هذا لمن ظنَّ أنَّه يحتاج للنصرة ،لأنَّ المنطقي في الأمر أنَّ الإنسان هو من يحتاج لنصرة الله بدعائه (و انصرونا على القوم الكافرين)،و قد تعددت القراءة في هذه الآية تعداد النصره ،فقرأ ابن عامر و يعقوب و الكوفيون (أنصار الله) ،و قرأ الباقون (أنصاراً لله) بالتنوين و لام الجر .

في القراءة الأولى إضافة لفظ الجلالة إلى الأنصار ،و قد ذكر البيضاوي في تفسيره أنَّ معنى القراءة : "كونوا بعض أنصار الله." (2)

و يرى أغلب المفسرين أنه لا فرق في الدلالة بين القراءتين و هذا ما لا تحتمله التغيرات على مستوى الحركات الإعرابية،و ما يمكن تجليته في هذه القراءة هو أنَّ الله سبحانه وتعالى يدع الذين آمنوا لنصرة نبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم ،فأضاف النبي و قدره و أشار إليه بلازمة أخرى (كما قال عيسى بن مريم من أنصاري إلى الله)،وهذا تعميق للمعنى ورفع من شأنه لأنَّ النصره لله ليست كالنصرة لنبيِّه محمد ،فذكرهم أنَّهم ينصرون الله بنصرتهم لنبيِّه ،كما أنَّهم تعودوا على قولهم (انصروا آلِهتكم)، و لكن النصره هنا مختلفة فنصرة الأصنام لضعف ،و نصره الله لقوة.

أما القراءة الثانية فهي دعوة من الحقِّ للذين آمنوا ليكونوا أنصاراً ،و جاء التنوين للدلالة على ذلك أي البسوا صفة الأنصار ،و هذا العمل في سبيل الله سبحانه وتعالى.

و الجمع بين القراءتين فيه إشارة عميقة المعنى تتجلى حين نتدبَّر العمل الذي قام به الأنصار حين استقبلوا النبيَّ محمد صلى الله عليه وسلم و المهاجرين ،حيث تبدَّت كلُّ أنواع النصره فهم نصروا محمد صلى الله عليه وسلم و نصروا الدين الإسلامي فأصبحوا أنصاراً لله.

- (1) الآية (14)،سورة الصف.

- (2) تفسير البيضاوي ،للبيضاوي ،تحقيق :عبد القادر عرفات،دار الفكر ،بيروت،(1416هـ-1996م)،ج5/ص335.

المبحث الخامس

الإبدال في الحركات غير الإعرابية.

الأنموذج الأول

قال الله تعالى:

"وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمَ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (1)

رأينا في مثال سابق استغراب عزيز من قدرة الله على إحياء القرية، فأراه الله سبحانه وتعالى آية البعث في نفسه إذ أماته مائة عام ثم بعثه، و الأنبياء من البشر و الإنسان من طبيعته أن عقله محدود القدرة و كل ما لا يستطيع إدراكه هو من المستحيل لديه، و لكن من يؤمن بقدرة الله لا يحتاج إلى الدليل للتصديق و لكن يتعجل المعرفة كما قال موسى: "ربي أرني انظر إليك"، و سيدنا إبراهيم عليه السلام سأل الله سبحانه ليديه كيف يحي الموتى و السؤال عن الكيفية ليس كالسؤال عن القدرة، فهو يعلم أن الله قادر على ذلك و لكن الفطرة الإنسانية دفعته للسؤال فأراد الله منه أن يقوم بتجربة يرى من خلالها عملية البعث، إذ أمره أن يأخذ أربعة من الطير ثم يقطعها و يمزج لحمها و يضع أجزائها على رؤوس الجبال ففعل.

وتعددت القراءة في قوله تعالى "فصرهن"، حيث قرأ حمزة بكسر الصاد (صرهن)، و قرأ الباقون بضمها (صرهن).

قال أبو جعفر: "اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والحجاز والبصرة: (فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) بضم الصاد من قول القائل: "صُرْتُ إلى هذا الأمر." (2)، إذا ملت إليه، "أصُورُ صَوْرًا"، ويقال: "إني إليكم لأصُور" أي: مشتاق مائل، ومنه قول الشاعر: **اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّا فِي تَلْقُنَا يَوْمَ الْفِرَاقِ إِلَى أَحْبَابِنَا صُورُ.** (3) و جاء في لسان العرب: " صار الرجل يصور عنقه إلى الشيء، إذا مال نحوه بعنقه." (4)

- (1) الآية (260)، سورة البقرة.

- (2) جامع البيان، ج3/ص 159.

- (3) المصدر نفسه، ج5/ص 495.

- (4) لسان العرب، ابن منظور، مادة (صر) ج4/ص 474.

والمعنى المستفاد أنّ الله طلب من سيّدنا إبراهيم توجيه الطير نحوه، وهنا الفعل متعلق بالجزء لا بالكلّ و أقصد بالجزء هنا أعناق الطير، فالإنسان في العادة إذا أراد ذبح طير مثلاً فإنّه يوجّه رأس الطير و عنقها نحوه، إذاً فالقراءة الأولى تشير إلى المرحلة الأولى من عملية التعليم و التي يتم خلالها إزهاق روح الكائن.

أمّا فيم يتعلق بالقراءة الثانية (صِرْهَنّ)، فقد جاء في اللسان قوله: "صار يصير، و صرثُ الشيء قَطَّعته." (1)، و الجار المتأخر موضعه التقديم و المعنى: "خذ أربعة من الطير إليك فِصِرْهَنّ"، أي قَطَّعْهَنّ، عن مجاهد أنّه قال: (فِصِرْهَنّ إليك) أنْتَفَهَنّ بريشهنّ و لحومهنّ تمزيقاً، ثم اخلط لحومهنّ بريشهنّ." (2)

و التقطيع يشير إليه السياق من خلال قوله تعالى: "ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءً"، فهذا دليل على تمزيق سيّدنا إبراهيم للطير قبل وضعها على رؤوس الجبال، و هي المرحلة الثانية من عملية التعليم، فبعد ذبح الطير قام سيّدنا إبراهيم بتجزئتها ثمّ مزج بين لحمها و ريشها و وزّعها على الجبال، لتأتي المرحلة الأخيرة و هي أن يدعوهُنّ لتظهر قدرة الله سبحانه و تعالى و تتراكب الأجزاء بعضها إلى بعض و تعود الطير كما كانت أول مرّة، و كما بعث الله هذه الأطيار من هذه الجبال الأربعة، كذلك يبعث الله الناس يوم القيامة من أرباع الأرض و نواحيها.

و الموازنة بين القراءتين تبرزان معنى التكامل بينهما من خلال إعطاء صورة متحرّكة لما قام به سيّدنا إبراهيم عليه السلام و الفرق فقط في حركة الكسر و الضمّ.

- (1) اللسان، مادة (صِرّ)، ج4/ص478.

- (2) جامع البيان، ج5/ص503.

* الأنموذج الثاني *

قال الله تعالى:

"وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِن أَكْثَرُهُمْ تٰجِهَلُونَ" (1)

إنَّ درجة الإلحاد و الكفر التي بلغها أعداء الإسلام جعلتهم لا يصدّقون بأي آية لو كانت عظيمة لأنَّ الله ختم على قلوبهم لقوله تعالى: "وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ" بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ" (2)

و هناك الكثير من الآيات الدالة على عنادهم منها قوله تعالى: "وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ" (3) و قوله تعالى: "وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ" (4)

و جاء الشرط منفيًا و في هذا تسليّة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرقق نفسه رافة بهم لقوله تعالى: "فَلَعَلَّكَ بَسِخٌ مِّنْ نَّفْسِكَ عَلَىٰ عَٰثِرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا" (5) وتعددت القراءة في كلمة (قبلا)، فقرأ ابن عامر ونافع (قبلاً)، و قرأ الباقر (قُبُلًا).

وعلى قراءة الضم ثلاث دلالات أدرجها الطبري في تفسيره:

- أحدها أن يكون "القبل" جمع "قبيل"، كالرُّغف التي هي جمع "رغيف" (6)، و يكون المعنى الضُّمَاء و الكُفلاء أي اللذين يضمنون لهم وعد الله.

- و الوجه الآخر: أن يكون "القبل" بمعنى أُمَامَهُم، من قول القائل: "أَتَيْتُكَ قُبُلًا لَا

- (1) الآية (111)، سورة الأنعام.

- (2) الآية (88)، سورة البقرة.

- (3) الآية (93)، سورة الإسراء.

- (4) الآية (15/14)، سورة الحجر.

- (5) الآية (06)، سورة الكهف.

- (6) جامع البيان، ج12/ص48.

دُبْرًا إِذَا أَتَاهُ مِنْ قَبْلِ وَجْهِهِ". (1). لقوله تعالى: "قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِيَّ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ" (2) أي من الأمام.

- و الوجه الثالث: أن يكون معناه: وحشرنا عليهم كل شيء قبيلةً قبيلةً، صنفاً صنفاً، وجماعة جماعةً، فيكون "القبل" حينئذ جمع قبيلة. (3)

و المشترك بين هذه الدلالات البارزة من قراءة واحدة يعطي المعنى الموالي: لو جمعنا لهم أصناف الآيات أمامهم ، و ضمنّ بها وعدنا لهم ما كانوا ليؤمنوا.

أما قراءة الكسر (قبلاً) فيبينها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُواْ وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ (4)، تتجهوا نحو القبلة فيكون معنى قبلاً: مواجهةً.

ومن خلال الجمع بين القراءتين يبرز معنى من المعاني السامية التي تبين أنّ المشركين قد فقدوا حاسة البصر بل و صاروا يشكون فيما يرونه لقوله تعالى: "لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ" (5) ، و لو أتاهم الرسول صلى الله عليه و سلم بكلّ آية و عرضها أمامهم مواجهةً لهم فإنّهم لن يؤمنوا. و سنقوم بتوزيع الدلالات على الآيات الربانية:

- الملائكة ← جماعاتٍ جماعاتٍ يندرونهم وعد الله.
- الموتى ← الكفلاء و الضمراء اللذين رأوا ما وعدهم الله فأحياهم ليبلغوا المعرضين بما رأوا.

- حشرنا عليهم كلّ شيء ← أمامهم و مواجهةً لهم.
ف نجد أنّ كلّ نوع من الآيات التي ذكرها الله تقابلها دلالة من الدلالات التي تعطيها القراءتين.

- (1) بتصرف، جامع البيان ج12/ص 48.

- (2) الآية (26)، سورة يوسف.

- (3) جامع البيان، ج12/ص 49.

- (4) الآية (177)، سورة البقرة.

- (5) الآية (15)، سورة الحجر.

* الأنموذج الثالث *

قال الله تعالى:

"وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ^ط حَتَّىٰ إِذَا أَفْلَتَ سَحَابًا نِّقَالًا سُقِّنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ^ح مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ^ج كَذَٰلِكَ خُْرِجَ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" (1)

يَمِّنُ الله على عباده بشتى أنواع النعم و التي ربما لا يدركها الإنسان أو هو غافل عنها كما غفل عن ذكر الله ، و هذه الآية تتفضل علينا بسوق جندي من جنوده الذي لو شاء جعله عذاباً لقوله تعالى: "وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿١٠٦﴾" (2)، و لو شاء جعله رحمة كما في هذه الآية.

و قد تعددت القراءة في كلمة (نُشْرًا)، فقرأ ابن عامر (نُشْرًا)، و قرأ ابن كثير و أبو عمرو و نافع (نُشْرًا)، و قرأ حمزة و الكسائي (نُشْرًا)، و قرأ عاصم (بُشْرًا).

و نبدأ بقراءة عاصم (بُشْرًا) وهي مشتقة من البشرى ، و البشير من يأتي بالخير لقوله تعالى: "فَبَشِّرْ عِبَادِي"، و لكن هل رياح بشير ؟

أشارت الحقائق العلمية أن الرياح تلعب دوراً أساسياً في الدورة المائية لقوله تعالى: "اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ^ط فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ^ح وَجَعَلَهُ^ج كِسْفًا فَتَرَى^ط الْوَدْقَ تَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ^ط فَإِذَا أَصَابَ بِهِ^ط مِنْ يَشَاءُ^ح مِنْ عِبَادِهِ^ح إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ" (3)

و السحاب المقصود في الآية هو بخار الماء المتشكل من البحار و المحيطات و الذي تنقله الرياح إلى طبقات الجو "فيسطه في السماء"، و تتراكم السحب فتصبح داكنة اللون "كسف"، فتتعد تلك الأبخرة من جديد لتصبح قطرات ماء لا يقوى الهواء على حملها فتتزل غيثاً "الودق"، لذلك نجد الناس إذا هبت ريح فإثم يستبشرون بالغيث فتكون الرياح هنا بمثابة البشير، و عاد لما هبت الرياح: "قَالُوا

هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا^ج بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ^ط رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ" (4)

- (1) الآية (57)، سورة الأعراف.

- (2) الآية (06)، سورة الحاقة.

- (3) الآية (48)، سورة الروم.

- (4) الآية (24)، سورة الأحقاف.

فهم استبشروا بما ألفوا أنه يأتي بالخير و لكن لما عصوا أمر ربهم أهلكوا.
 أمّا قراءة (نُشْرًا) فهي من النشر بمعنى البعث و الإحياء و كأنّها أحييت شيئاً ميتاً و هذا ما ينقله
 لنا قوله تعالى: "وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ

كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥٥﴾" (1)

فالرياح هي سبب في نزول الغيث الذي تحيا به الأرض، و حياة الأرض بأن تنبت النبات فتصبح
 مخضرة زاهية بألوانها بعدما كانت مقفرة.

و قد تعني هذه القراءة (النُشْرُ) بمعنى الإرسال و الانتشار، و كأنّ الرياح كانت مطوية ثمّ نشرت.
 و أمّا قراءة (نُشْرًا) فهي جمع ناشر مثل شاهد شُهد. (2)، قال أبو عبيد: "الريح النشور هي التي تهبّ
 من كلّ جانب، وتجمع السحابة الممطرة." (3)

و كأنّها إشارة إلى المبالغة في فعل النشر كون الرياح تأتي من جهات مختلفة، و ربما فيها إشارة إلى أنواع
 الرياح الموسمية و الدائمة و المحلية وغيرها، و قد تدلّ على السرعة في حركتها.
 أمّا قراءة (نُشْرًا) فهي مخففة من قراءة (نُشْرًا)، مبرزة خفة الرياح في نقلها للسحاب ما ناسبها
 التخفيف من الضمّ إلى التسكين.
 و الموازنة بين فيض القراءات يوحى بحركة الرياح التي يرسلها الله سبحانه وتعالى ناشرة للسحاب،
 باعثة للحياة، مبشرة الناس بالخير.

- (1) الآية (05)، سورة الحج.

- (2) الإعجاز البياني في ضوء القراءات، ص 257.

- (3) الكشف عن وجوه القراءات، ملكي بن أبي طالب، تحقيق محي الدين رمضان، دار الرسالة بيروت، ج 1/ص 465.

الأنموذج الرابع

قال الله تعالى:

"وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنْ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾" (1)

سورة التوبة هي سورة جمعت بين طياتها كل صفات المنافقين محدّرة اللّذين آمنوا من مكرهم و ألعابهم التي تعودوا القيام بها ،و المنافق هو من أظهر الإيمان و أخفى الكفر و الفسق و هم أشدّ على الدعوة الإسلامية من اليهود و المشركين ،ومن بين الصفات الواردة في الآية أنّهم ينكثون الأيمان لقوله تعالى: "اتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾" (2)

و تعددت القراءة في كلمة (أيمان)، فقرأ الجمهور بفتح الهمزة و قرأ ابن عامر بكسرها. و على قراءة الجمهور (أَيْمَانٌ)، وهي جمع تكسير ليمين ،و اليمين هو القسم و الحلف و العهد، لقوله تعالى: "تَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾" (3)

ولكن في الآية تقرير لحقيقة و نفي لها في نفس الوقت ففي البداية أثبت أنّ لهم أيمان ثمّ نفي الأمر عنهم، كيف ذلك؟

أجاب الزمخشري قائلاً: "أراد أيمانهم التي أظهروها." (4) فالمنافق يخادع اللّذين آمنوا بلسانه لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ۖ ﴾ (5)، متناسياً أنّ الله مطلع على قلبه لقوله تعالى: "اتَّخِذُوا عُونَ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا اتَّخَذُوا عُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦﴾" (6)

- (1) الآية (12)، سورة التوبة.

- (2) الآية (02)، سورة المنافقون.

- (3) الآية (62)، سورة التوبة.

- (4) الكشاف للزمخشري ، ج2/ص251.

- (5) الآية (04)، سورة المنافقون.

- (6) الآية (09)، سورة البقرة.

و الظاهر من الآية فيه تبيان للذين آمنوا من أنّ الإتيان باليمين دون العمل بها هو نفاق وجب محاربته و هذا حتى لا يشبه الأمر عليهم فيظنون أنّهم يقاتلون إخوانهم، إنّما هم يقاتلون رؤوس الكفر التي تدسّ سمومها بين الصفوف للتفريق بينها، و هذه القراءة أفادت حكمة بالغة الأهمية تمثلت في الإشارة إلى محلّ اليمين الصادق ألا و هو القلب و الذي لا يطلع عليه إلاّ الله ، محذراً المنافقين من عذاب أليم ومنبهاً المؤمنين من معيّة الانجراف وراء أكاذيبهم.

و على القراءة الثانية (إِيْمَانٌ) ، و الإيمان ضدّ الكفر و هنا نفي تام قاطع بلا النافية للجنس من أنّهم دخلوا محيط الإيمان أو دخل الإيمان قلوبهم لقوله تعالى: "وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ" (1)

و الإيمان من الأمان و هو الطمأنينة التي هي ضدّ الخوف لقوله تعالى: "لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلًا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ" (2)

فهم لا يؤمنون أحداً و لا يحفظون أحداً مهما كان.

ولكن ما العلاقة بين القراءتين أي بين الأيمان و الإيمان؟

الإيمان هو ما وقر في القلب و صدّقه العمل ، و اليمين هي أسلوب لغوي مجسّد لدافع نفسي يحاول من خلاله الإنسان أياً كان أن يثبت حقيقة لشخص آخر رأى أنّه يشك في أقواله ، لأنّ الأفعال التي يقوم بها لا تتناسب و الأقوال التي يقولها و هو ما يسمى بالكذب ، ولكن الكذب إذا ارتبط بحقيقة عقائدية أصبح مرضاً نفسياً يسمى "النفاق" ، و الذي قد لا يدركه الإنسان لدرجة تلبسه بالحقيقة.

ما نخلص إليه من خلال القراءتين أنّ الله نفى عنهم الأسلوب الذي تخفوا وراءه وهو (الأيمان) حتى يدرك المؤمن بفراسطه نفي الإيمان عنهم فيحذرهم، حيث فضحهم الله سبحانه وتعالى بقوله: "تَحَذَّرُوا الْمُنْفِقُونَ" أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا إنّ الله مخرج ما تحذرون (3)

- (1) الآية (14)، سورة البقرة.

- (2) الآية (10)، سورة التوبة.

- (3) الآية (64)، سورة التوبة.

* النموذج الخامس *

قال الله تعالى:

"وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ^ط وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ^ج كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿١﴾"

اختار الله سبحانه وتعالى عبداً له ليكونوا أئمة للناس، وهم الأنبياء والمرسلون خصّهم بصفات تتناسب و الوظيفة التي أوكلت إليهم كالصبر و الصدق و الأمانة حتى يكونوا قدوة لغيرهم، و هذه الآية التي بين أيدينا تجسّد تلك الحقيقة التي تجمع بين البشرية و النبوة، فسيدنا يوسف عليه السلام تعرّض لابتلاء شديد من بشريته حيث راودته زوجة ملك مصر محاولة إيقاعه في الرذيلة التي لا تتناسب و النبوة.

و تعدّدت القراءة في كلمة (المخلصين)، فقرأ ابن عامر و ابن كثير و أبو عمرو "المخلصين" بكسر اللام، و قرأ الباقون "المخلصين" بفتح اللام.

و على قراءة الفتح التي جاءت على صيغة اسم المفعول المشتق من غير الثلاثي "أخلص"، جاء في لسان العرب: "أخلص الشيء اختاره." (2)

فتكون المخلص بمعنى المختار المصطفى لقوله تعالى: "لَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ" (3) فلحكمة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى سبق في علمه من هم أصحاب الرسالات، حيث اصطفاهم من بين الخلائق و جهّزهم لهذه المهام بما شاء.

أمّا قراءة الكسر فقد جاءت على صيغة اسم الفاعل من نفس الفعل "أخلص"، و المخلص هو الذي ينتقي خيار الأمور في كلّ شيء، وتعني أيضاً من يصفّي الشوائب، فيكون المعنى من المخلصين الذين يتوجهون إلى الله سبحانه وتعالى بخير العبادات و أفضلها و يصفون قلوبهم من شوائب الكفر و الشرك والنفاق، فأخلصوا الله أعمالهم.

و بالموازنة بين القراءتين تتجلى صفة الإخلاص التي اختصّ الله بها أنبياءه فهم مخلصين بالرسالات مخلصين في تأديتها على أكمل وجه فناسبت القراءة الأولى القراءة الثانية.

- (1) الآية (24)، سورة يوسف.

- (2) اللسان، مادة (خلص)، ج 7/ص 26.

- (3) الآية (32)، سورة الدخان.

* الأنموذج السادس *

قال الله تعالى:

"وَتَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ" (1)

تطاول الكفار في كل شيء، وبلغوا مبلغاً عظيماً في التطاول على الله سبحانه وتعالى فجعلوا لله البنات كذباً وافتراءً عليه سبحانه.

و هذه الآية التي بين أيدينا تصف واقعهم المستهزئ بعظمة الله و جلاله، فكانت لهم النار جزاءً بما كانوا يقولون، و تعددت القراءة في قوله "مفراطون"، فقرأ نافع (مُفْرِطُونَ)، و قرأ أبو جعفر (مُفَرَّطُونَ)، و قرأ الباقي من السبعة (مُفَرَّطُونَ).

و الكلمة مشتقة من مادة فرط، جاء في لسان العرب: "فرط الفارط: المتقدّم السابق قال أعرابي للحسن: علمني ديناً وسوطاً، لا ذاهباً فروطاً، و لا ساقطاً سقوطاً، أي ديناً متوسطاً لا متقدماً بالغلو و لا متأخراً." (2)

و قد تعني الإسراف: "يقال فرط عليه في القول: أي أسرف." (3)

و قراءة نافع جاءت على صيغة اسم الفاعل "مُفْرِطٌ"، و تعني المسرف، و المفراطون هم الذين أسرفوا على أنفسهم بالذنوب المعاصي و أكثرها منها قال الطبري: "مُفْرِطُونَ في الذنوب و المعاصي، مسرفون على أنفسهم." (4)

و على قراءة أبو جعفر التي اشتقت من الفعل فَرَطَ الذي يعني ضيّع و قصر، و المفراطون هم المقصرون في عبادة الله لقوله تعالى: "أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتُنِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ" (5)

أي تتحسر على ما ضيّعت من العبادات و الأعمال التي كانت ستنجيها من عقاب الله.

- (1) الآية (62)، سورة النحل.

- (2) اللسان مادة (فرط)، ج 11/ص 163.

- (3) اللسان، ج 11/ص 164.

- (4) جامع البيان، ج 14/ص 129.

- (5) الآية (56)، سورة الزمر.

أمّا قراءة (مُفَرِّطُونَ) التي مفردها مُفَرِّطٌ :معناه المقَدَّم ،حيث تقول العرب: "أفَرَطْنَا فلاناً في طلب الماء،إذا قدّموه لإصلاح الدّلاء و الأرشية ،وتسوية ما يحتاجون إليه عند ورودهم عليه ،فهو مُفَرِّطٌ." (1)

فيكون معنى القراءة المقَدَّمون إلى النّار لأنّهم يستحقّونها .

و تعني هذه القراءة أيضاً "المنسيّون"، قال الكسائي: "ما أفراط من القوم أحداً،أي ما تركت." (2) فهم نسوا الله فنسيهم ،ليس نسيان غفلة و لكن نسيان الخلود في النار.

من خلال الجمع بين الدلالات المتردّدة بين القراءات الثلاث نجدها تصف لنا صورة حسية مركبة تركيباً مزجياً يوافق ظاهر الآية ،و العجيب في الأمر هو أنّ القراءات الثلاث لا نجد بينها أدنى تناقض أو اختلاف بل صورة من التكامل المعجز إعجاز القرآن الكريم ،فالمفَرِّط في الذنوب و المعاصي و الطغيان و الكفر و التطاول على جلال الله بطبيعة الحال هو مفَرِّط في حقّ الله و آداء واجبه اتجاهه فكان جزاءه أنّه ممن يساقون على رأس الخلائق إلى النّار ليخلد فيها أبداً.

- (1) جامع البيان ،ج14/ص129.

- (2) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية،ص267.

* الأنموذج السابع *

قال الله تعالى:

"إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾" (1)

تميّزت الأقوام السابقة بشدة تعنتها و رفضها جملة و تفصيلاً لما جاء به الأنبياء و المرسلون خاصة فيم تعلّق بالخلق و الخالق، فهذا هود قد أتى قومه يذكّرهم بما هم فيه عارضاً أمامهم نعم الله و عطاياه، ولكنهم أصروا مستكبرين رافضين التخلي عما كان عليه آباءهم و أجدادهم فأجابوه بالآية الكريمة التي تعددت فيها القراءة في كلمة (خلق)، فقرأ ابن عامر و عاصم و حمزة و نافع بالضّم (خُلُقٌ)، و قرأ ابن كثير و عمرو و الكسائي (خُلِقٌ).

جذر الكلمة مكون من ثلاثة أحرف الخاء و اللام والقاف وتعني: "ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه." (2)، و قال ابن الأنباري: "الخلق في كلام العرب على وجهين: الإنشاء على مثال أبدعه، و الآخر التقدير." (3)

و قيل أنّها تعني الدين و استشهدوا بقوله تعالى: "فليغيّر خلق الله" أي دين الله.

فأمّا القراءة الأولى (خُلِقٌ)، فهي تعني العادة (4)، و على هذا كانت إجابتهم لنبيهم من أنّ الأمر الذي هم فيه هو إتباع لما أبدعه آباءهم، و لكن القراءة تسير على محورين أولهما قصدوا ما كان يكلمهم حوله هود من الأبنية و غيرها من الفنون التي عرفت عنهم، و المحور الثاني أنّهم قصدوا دين الضلال الذي كانوا عليه.

يرى ابن كثير أنّ قصدهم سار على المحور الثاني أي دينهم الذي كانوا عليه هو دين أجدادهم و لم يتدعوا شيئاً من تلقاء أنفسهم فهم سائرون على ما سار عليه الأولون يعيشون كما عاشوا و يموتون كما ماتوا لا بعث و لا حساب كما قال الله تعالى: "قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ

تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَنِ مُبِينٍ" (5)

- (1) الآية (137)، سورة الشعراء.

- (2) اللسان مادة (خلق)، ج 5/ص 140.

- (3) المصدر نفسه، ص 140.

- (4) الموضح في وجوه القراءات و عللها القراءات، ج 2/ص 944.

- (5) الآية (10)، سورة إبراهيم.

و قد رأى ابن عاشور أنها سجايهم و طبائعهم التي ورثوها عن أجدادهم بخيرها و شرها.
 أما القراءة الثانية (خلق)، جاء في لسان العرب أنّ معناها كذب الأولين و افتراءهم قال الفراء: "من قرأ خلق الأولين أراد اختلاقهم وكذبهم، و من قرأ خلق الأولين أراد عادة الأولين." (1)
 يقول الحق سبحانه وتعالى: "مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمَلَأَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا آخِثْلَقٌ" (2)، أي كذب و افتراء لا أساس له من الصّحة.

و المعنى الثاني لهذه القراءة الإنشاء و التكوين لقوله تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ" و المعنى خُلقنا كخلقهم، و ما هذا الذي نحن فيه إلّا استمرارية للحياة و تعاقب للأجيال.
 و قد نضيف معنى آخر إلى المعاني النابعة من اللفظة، و هي أنّ في القراءة مدح و تعظيم لأنفسهم من أنّهم هم من أوجدوا هذه النعم التي يتمتعون بها و هنا نفى لفضل الله عليهم لأنهم أصلاً لا يعترفون بوجوده.

و من خلال الجمع بين القراءتين تتجسد أماننا نفسية ذلك الإنسان الذي عاش في زمن هود عليه السلام، نفسية لا يمكن أن تنفصل عن موروث الماضي الذي يمثل بالنسبة إليها دافعاً قوياً للاستمرار، كما تجعلنا نتصور ذلك الإنسان و هو متمسك بمورثه محاولاً الدفاع عنه بشتى الطرق حتى لو كانت براهين واهية لا علاقة لها بما جاءهم به نبيهم، و في نفس الوقت تعرض لنا التناقضات التي يعيشها من خلال استظهار دلالة (الافتراء و الكذب)، فرغم عدم قدرته على ترك عادة أجداده إلّا أنّه يدرك أنّ فيها شكاً، و هذا ما تعرضه لنا الموازنة بين القراءتين.

- (1) اللسان، مادة (خلق)، ج 5 / ص 141.

- (2) الآية (07)، سورة ص.

* الأنموذج الثامن *

قال الله تعالى:

" وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١﴾ (1)

تتجلى آيات الله على عباده في كلّ حركة و سكون ،و لكن الإنسان الغافل لا يدرك ذلك إن لم تحدّثه عن هذه الآيات ،لذلك نجد في القرآن الكريم أنّ الحقّ سبحانه وتعالى في كلّ مرة يذكّرنا بها لعلنا نتدبّر آياته فنزداد إيماناً وتسليماً ،و هذه الآية هي سياق للألوهية الحقّة التي تبرز خلق الكون و الإنسان ،و لكن لا أحد تجرأ و قال في يوم ما أنّي خالق الكون أو خالق الإنسان فلمن يتوجه هذا الخطاب؟

إنّ هذه الآيات لا يراها كلّ النّاس ،بالبصيرة الحيّة التي تميّز بين الحقّ و الباطل،لذلك نجد في القراءة قد تعددت في كلمة(العالمين)،فقرأ عاصم بكسر اللام (العالمين)،وقرأ الباقون بفتحها (العالمين)،فأي دلالة أنتجت من خلال هذا التغير؟

قراءة الفتح (العالمين)،فيها إطلاق للخطاب الذي يتوجه إلى عالم الإنس و الجنّ بما أنّهم أهل التكليف لقوله تعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٢﴾ (2)

وهذه الحقيقة تبين عدل الله سبحانه و تعالى ،العدل المطلق الذي لا يشوبه مثقال ذرة من التطفيف،حيث عرض هذه الآيات لكلّ شاهد و لم يخفها عن أحد ،يراه العالم و الجاهل ،و الصغير و الكبير ،و المشرك و المؤمن ،و كلّ الطوائف الإنسانية التي تدرك الحقائق بالعقل.

كما أنّ فيها لفظة عظيمة تبين وحدانية الله و قدرته و رحمته ،وحدانيته لأنّ الخطاب من الخالق إلى المخلوق،و قدرته لأنّ الآيات عظيمة ،و رحمته لأنّه لو شاء أخفاها عن خلقه.

أمّا قراءة الخفض (العالمين)،ففيها تخصيص للخطاب وحصر له لأنّه موجّه للعلماء ،و لكن بما يتميز هؤلاء عن غيرهم من البشر؟

تسرد لنا الآيات التالية الإجابة ،يقول الله تعالى: " وَمَا يَعْهَدُهَا إِلَّا أَلْعَلِمُونَ ﴿٣﴾ (3)

- (1) الآية (22)،سورة الروم.

- (2) الآية (56)،سورة الذاريات.

- (3) الآية (43)،سورة العنكبوت

و في قوله تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾" (1)

و قوله تعالى: ﴿٢١٩﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾" (2)

فالعالم المقصود في الآية ليس العالم المتخصص بمفهومنا الحالي ،و لكن هو من يعتمد على العقل و التفكير لإدراك الحقيقة التي تقوده على معرفة الله عز وجل فيتعلمها و يعلمها،و أهل العلم مقامهم رفيع عند الله سبحانه وتعالى لأنهم أكثر إيماناً.

و من خلال الجمع بين القراءتين نجد أنّ فيهما دعوة لجميع الخلق من أجل التفكير في آيات الله كلّ حسب ما أوتي من المعرفة ،كما أنّ فيهما إبرازاً لقيمة العلم الذي يقود الإنسان إلى معرفة الله و عظّمته ،و فيهما أيضاً دعوة للعلماء من اجل إعلام وتعليم الناس كيفية التفكير.

- (1) الآية (164)،سورة البقرة.

- (2) الآية (219)،سورة البقرة.

* الأنموذج التاسع *

قال الله تعالى:

"وَمَا يَنْظُرُ هَتُؤَلَاءِ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ" (1)

عدّد الحق سبحانه وتعالى في سياق الآية أقواماً جحدوا بالأنبياء و الرسل و كذبوهم ،ومن خلال أسلوب الآيات السابقة لهذه الآية يظهر معنى التقريع و الوعيد بالعقاب ،ومن أنواع العقاب الصيحة الربانية التي لا يدرك عظمتها إلا خالقها، صيحة يصعق فيها من في الأرض إلا من شاء الله لقوله تعالى: "إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ" (2)

و علينا أن نميّز بين صيحة البعث و صيحة الموت ،فهؤلاء الأقوام تعجلوا العذاب فتوعددهم الله سبحانه وتعالى بصيحة الموت، و قد تعددت القراءة في كلمة (فواق)، فقرأ حمزة و الكسائي بضم الفاء (فُواق)، و قرأ الباقون بالفتح (فَوَاق)، فأبي دلالة نتجت عن ذلك؟

قال أبو عبيدة: " من ضمّ القاف جعلها من فُواق الناقة ،و هو ما بين الحلبتين. " (3)

و هو الوقت المستقطع الذي تأخذ فيه الناقة راحتها و تجدد الحليب في ضرعها.

و من فتح (فَوَاق)، فهو من الاستفاقة ،جاء في لسان العرب: " كلّ مغشي عليه أو سكران معتوه إذا انجلي عنه ذلك قيل: قد أفاق و استفاق. " (4)

و قال ابن مجاهد: " ما لها من فَوَاق، أي رجوع. " (5)

من خلال الموازنة بين القراءتين نستجلي الدلالات التالية:

من قرأ على الضمّ كان تبياناً لسرعة العذاب ،فلا فترة للراحة أو الانتظار أو تحديد النشاط.

ومن قرأ بالفتح كان المعنى الأقرب هو عدم الرجوع ،كما أنّه لا يهياً لهم وقت يستفيقون فيه من العذاب ،بل هو عذاب مستمر متوالي.

- (1) الآية (15)، سورة "ص".

- (2) الآية (53)، سورة "يس".

- (3) مجاز القرآن ،لأبي عبيدة، تحقيق محمد فؤاد، مصر مكتبة الخانجي، ج2/ص179.

- (4) اللسان، مادة (فواق)، ج10/ص318.

- (5) الحجة في وجوه القراءات و عللها، ابن أبي مريم، ج6/ص66.

* الأنموذج العاشر *

قال الله تعالى:

" وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ " (1)

قال أبو علي: " المعنى أنه لما نزل: "إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ" الأنبياء (98)، قال المشركون: "وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ" الزخرف (58)، أي إن كانت آلهتنا حصب جهنم -لأنها اتخذت آلهة و عبادت- فعيسى في حكمها، قال الله تعالى: "و لما ضرب عيسى بن مريم مثلاً"، في هذا الذي قالوه: "إذا قومك منه يصدون"، أي يضحجون لما أتوا به عندهم في تسويتهم بين عيسى عليه السلام و بين آلهتهم. (2)

هذا عن سبب النزول، و لكن القراء تعددت قراءتهم لكلمة (يصدون)، فقرأ ابن عامر و نافع و الكسائي بالضم (يُصْدُون)، و قرأ الباقر بالخفض (يَصِدُون).

فأما قراءة الضم فهي من الإعراض و المنع لقوله تعالى: "وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ" (3)، أي منعهم بإعراضهم عن إتباع الصراط المستقيم. تبين هذه القراءة موقف قريش وشدة جدالهم للحق و مخاصمتهم له و هذا من باب الإعراض و الصد عن الاستماع للقرآن.

و على قراءة الخفض (يَصِدُون)، جاء في لسان العرب قوله: "استغرب ضحكاً." (4) و قد شرحها مكي بقوله: "يُضْجُونَ" (5)، أي ترتفع لهم جلبة وضجيج بالضحك من سماعهم لقول ابن الزبيري الذي رد على النبي محمد، فكثيراً ما كانت قريش تسخر من القرآن، و هذا حال الذي يجادل من غير علم ولا هدى و لا كتاب مبين، يحاول التعلق بأدنى سبب من أجل الاستهزاء

- (1) الآية (57)، سورة الزخرف.

- (2) الحجة في علل القراءات السبع، لأبي علي الفارسي، ج4/ ص316.

- (3) الآية (24)، سورة النمل.

- (4) اللسان مادة (صدد)، ج3/ ص246.

- (5) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية، ص303.

بالآخر، فهم ظنوا بأنهم غلبوا النبي صلى الله عليه و سلم بحجتهم الواهية التي أتوا بها ظانين بأن في القرآن تناقض و هذا من جهلهم.

ومن خلال الموازنة بين القراءتين تتجلى آية من آيات الله التي لو أدركها هؤلاء القوم ما تحركت شقاشقهم بالسخرية ،حيث تصوران معاً نفسية مريضة تعودت على إنكار الحق و الصد عنه و في نفس الوقت هي ضعيفة تتخذ من الاستهزاء غطاءً لضعفها، كما تحاول جعل الناس ينصرفون عن الحق من خلال إحداث الجلبة حتى لا يُسمع للنبي صوت.

الخاتمة

لقد أنار الله سبحانه وتعالى بصائر العلماء ليستنبطوا الحكمة من تعدّد القراءات ،التي لطلما كانت مقتصرة على حصر القراء و تصنيفها. إنّ آيات القرآن الكريم لم تبقى يوماً جامدة دون حركة أو تحريك لمسامع القراء و مشاعرهم ،و ما القراءات القرآنية إلاّ آية من هذه الآيات الإعجازية التي أظهرها الحق سبحانه وتعالى بعدما تعالت أصوات من يؤر الكفر و الإلحاد تنادي بالطعن في مصداقية كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه.

و كان من أهم النتائج التي خرجت بها هذه الدراسة ما يلي:

1- أنّ القراءات القرآنية من أهم الدلائل التي يمكن أن يستفيد منها الباحث المحقّق في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، باعتبارها وجهاً من أوجه الإعجاز الذي يجمع بين كلّ العلوم، كما أنّها تتقبل جميع التوجهات التي لا تخرج عن المعنى المراد و المقصود، بالإضافة إلى أنّها لم تكن يوماً واقعاً بل هي مثال و قدسيّتها كقدسية القرآن الكريم.

2- أنّ مصطلح الاختلاف ليس المصطلح المناسب للتعبير عن التكامل بين القراءات، إذ ظهر من خلال العمل التطبيقي أنّ كلّ القراءات الصحيحة متكاملة فيما بينها لذلك من الواجب توجيه هذا المصطلح إلى مصطلح أكثر تعبيراً عن هذا التكامل ،و هو مصطلح "التعدّد".

3- القراءات القرآنية هي حكم عدل بين مذاهب النحويين المختلفة ،فقد يعتري قاعدة نحوية نقصاً من أحد جوانبها فتأتي القراءة لتسدّ ذلك النقص ،كما يمكن اعتبارها الموازن الرئيسي و المنبع الأصيل الذي لا يعتريه شكّ من أجل بناء نحو قرآني جديد خاضع للقرآن و ليس العكس.

4- اتخذت مدرسة الكوفة من القراءات سلاحاً ضدّ من يحاول الطعن في قواعدها باعتبار أنّ هذه الأخيرة مستمدة من كلام الله و ليس كلام البشر الذي ربما يخضع للحاجة البشرية فيميل القاعدة و يتجاوزها ،و هذا ما لم يستفد منه البصريون حيث حاولوا إخضاع القراءات الصحيحة لقواعدهم ،و ما لم توافق قاعدتهم اعتبروها من الشاذ أو الضعيف و هذا من التعدي على قدسية النص القرآني.

5- لم ترتق الدراسات الصوتية الموازنة للقراءات القرآنية إلى المستوى المطلوب فكانت مجرد طريقة خفيفة على باب ضخّم،و هذا لم لمستّه من خلال قلة المصادر أو المراجع أو الدراسات التي تعالج هذه القضية ،و ما الوقف و الابتداء إلّا لحظة بسيطة حاولت من خلالها فتح باب البحث في هذا المجال ،و كان من بين النتائج أنّ المستوى الصوتي يعتبر من الأحرف السبعة التي صرّح بها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

6- للقراءات القرآنية أثر واسع في الإنتاج الدلالي ،فالآية الواحدة بمثابة آيتين دون اختلاف أو تناقض بينهما ،فلم نجد من خلال المباحث التي مرّت بنا قراءة تنادي بحكم مخالف لقراءة أخرى ،بل برزت معها عظمة الله سبحانه وتعالى الذي جعل في الحركة و الحرف معجزة خالدة من خلال التكامل بين هذه القراءات.

7- القراءات القرآنية علم جليل جمع بين البلاغة و النحو و الصرف و علم الدلالة و الصوتيات، و هذه العلوم العربية في الحقيقة إذا اجتمعت في قالب واحد فإنّه سيرز من خلالها وجه من أوجه الإعجاز القرآني الذي لا زال يحتاج إلى البحث ويمكن طرح التساؤلات التالية لتكون لبنة من اللبنة التي يمكن للباحث أن يبني عليها بحثه:

1- إذا لم يكن المعنى الحقيقي للأحرف السبعة هو هذه التغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة ،فهل مصدرها هو رسم المصحف العثماني؟ ،و إذا كان

الأمر كذلك، فهل نسخ عثمان بن عفان حديث رسول الله صلى الله عليه
و سلم؟

2- القرآن كان محفوظاً في الصدور، و من قام بنقطه يعدّ من القراء اللذين
نقلوا عن الصحابة، فكيف لم ترسو الكلمات على وجه واحد يمكن اعتباره
قراءة النبي صلى الله عليه و سلم؟

توصيات و اقتراحات:

1- على الباحث الذي يريد الخوض في مثل هذه المسائل الخطيرة خاصة التي تتعلق
بقُدسية القرآن الكريم أن ينتبه إلى الأحكام التي يصدرها، لأنّه ربما سيأتي جيل تصبح لديه
من المسلمات.

2- إنّ الأمور المشتبهة لا يمكن الفصل فيها، و أما هذه الآراء المطروحة من خلال هذا
البحث ما هي إلاّ اجتهاد يحتمل الخطأ و الصواب.

3- القراءات باب واسع يحتاج إلى الإحاطة بالموضوع من كلّ جوانبه من خلال المصادر
التي تركها لنا علماؤنا.

4- يمكن لعلم الدلالة أن يستفيد بقدر كبير من علم القراءات الذي يطرح جملة من
النظريات حول بنية الكلمة و دلالتها.

قائمة المصادر و المراجع

- القرآن الكريم

المصادر و المراجع:

- 1- الإبانة عن معاني القراءات ،مكي بن أبي طالب القيسي،تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي،دار النهضة مصر.
- 2- الإتقان في علوم القرآن،جلال الدين السيوطي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.
- 3- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمّى منتهى الأمانى و المسرّات في علوم القراءات،أحمد بن محمد البنا،تحقيق شعبان محمد إسماعيل،مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة،ج1.
- 4- أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية،عبد العال سالم مكرم،مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ،ط2(1417هـ - 1996م).
- 5- أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية،عبد العال سالم مكرم،مصر،(1389هـ-1979م).
- 6- الأحرف السبعة للقرآن،أبو عمرو الداني،تحقيق عبد المهيمن طحّان،دار المنارة ،الطبعة الأولى.
- 7- الأحرف القرآنية السبعة،عبد الرحمن المطرودي،دار عالم الكتب ،ط1(1411هـ-1991م).
- 8- الاختيار عند القراء مفهومه،مراحلته،و أثره في القراءات،أمين بن إدريس.
- 9- أصول النحو،سعيد الأفغاني،مطبعة الجامعة السورية،الطبعة الثانية،(1413هـ-1993م).
- 10- أصل القراءات القرآنية بين حقائق التاريخ و دعاوى المبطلين،غانم قدوري الحمد.
- 11- إعجاز القرآن،للباقلاني،تحقيق السيد أحمد صقر،دار المعارف،مصر ،الطبعة الثالثة.
- 12- الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة،أحمد بن محمد الخراط،بجمع الملك فهد للطباعة و النشر (1426هـ).
- 13- الإعجاز البياني للقرآن و مسائل ابن الأزرق،عائشة عبد الرحمن،دار المعارف مصر.
- 14- إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي،دار الكتاب العربي بيروت 1990م.
- 15- إعجاز القراءات القرآنية ،دراسة في تاريخ القراءات و اتجاهات القراء، صبري الأشوح،مكتبة القاهرة.

- 16- الإمام محمد الطاهر بن عاشور و منهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير و التنوير، محمد بن سعد بن عبد الله القرني.
- 17- البحر المحيط، لأبي حيان ، مكتبة النصر الحديثة ،الرياض.
- 18- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين بن محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجليل بيروت-لبنان.
- 19- تاريخ القرآن الكريم، محمد سالم محيسن، دار الأصفهاني للطباعة، جدة.
- 20- تجسير التيسير لابن الجزري في القراءات، تحقيق عبد الفتاح القاضي و الشيخ محمد صادق القمحاوي، دار الكتاب العربي.
- 21- تفسير التحرير و التنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، ج1.
- 22- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة و النشر، ج1.
- 23- تفسير القرآن العظيم، أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، الطبعة الجديدة، دار ابن حزم.
- 24- التفسير الكبير ،فخر الدين الرازي، دار الإحياء ،بيروت.
- 25- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، أحمد سعد محمد، مكتبة الآداب 19 القاهرة.
- 26- التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، مطبعة الدولة، الطبعة الأولى، (1349هـ-1930م).
- 27- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،أبو جعفر بن جرير الطبري ،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة و النشر، الطبعة الأولى (1422هـ 2001م).
- 28- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ،تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط5 (1423هـ-2003م).
- 29- جمع القرآن الكريم حفظاً و كتابة، علي بن سليمان العبيد، دار الفداء للطباعة و النشر، الطبعة الثانية، (1425هـ-2005م).

- 30-** الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1971، ط 1 2007م-1428هـ، ج 1.
- 31-** الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، مصر (1371هـ-1952م).
- 32-** الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري، فاضل السامرائي، مطبعة الإرشاد بغداد، (1390هـ-1971م).
- 33-** الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق الدكتور احمد الخراط، دار القلم دمشق (1406هـ - 1986م).
- 34-** دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية، عبد القادر بن محمد عطا صوفي، ط 1، دار أضواء السلف للنشر و التوزيع 2005م.
- 35-** الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري، فاضل السامرائي، مطبعة الإرشاد بغداد.
- 36-** دلائل الإعجاز، الإمام أبي بكر عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة.
- 37-** رسم المصحف و ضبطه بين التوقيف و الاصطلاحات الحديثة، شعبان إسماعيل، دار السلام.
- 38-** روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين الألوسي، إدارة المطبعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 39-** السبعة في القراءات لابن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف مصر 1972م.
- 40-** شرح كتاب التيسير للداني في القراءات، أبو محمد المالكي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1 2003م.
- 41-** شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، زكريا الأنصاري، الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، ط 1.
- 42-** الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري إسماعيل بن حماد، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 2 (1399هـ-1979م).

- 43-** الطراز للعلوي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 44-** طيبة النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى.
- 45-** العدول في القرآن الكريم على وفق نظرية التلقي (دراسة أسلوبية)، بثينة خضر محمد.
- 46-** علم القراءات - مفهومه ،نشأته،مصدره،أقسامه ومدارسه، منصور كافي، دار العلوم للنشر و التوزيع.
- 47-** عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، أحمد بن محمد الخراط، دار العلوم للنشر و التوزيع.
- 48-** العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي ،إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للطباعة و النشر.
- 49-** فتح القدير للشوكاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 50-** في الأدب الجاهلي، طه حسين، مطبعة فاروق، ط3، 1933م.
- 51-** في علوم القراءات مدخل و دراسة و تحقيق، رزق الطويل، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- 52-** القراءات التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره و الرد عليه من أول القرآن إلى آخر سورة التوبة ،محمد عارف عثمان موسى الهرري، الطبعة الأولى (1406هـ).
- 53-** القراءات القرآنية تاريخ و تعريف ،عبد الهادي الفضلي ،دار القلم بيروت ،الطبعة الثانية.
- 54-** القراءات عند ابن جرير الطبري في ضوء اللغة و النحو ،المجلد الأول، دار العلوم للنشر و التوزيع.
- 55-** القراءات في نظر المستشرقين و الملحنين، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، دار مصر للطباعة.
- 56-** القرآن و القراءات و الأحرف السبعة، عبد الغفور محمود جعفر ، دار السلام، ج1، ط2007، 1م.
- 57-** القراءات القرآنية نشأتها ،أقسامها، حجّيتها، خير الدين سيب، دار الخلدونية الجزائر العاصمة.
- 58-** القراءات و اللغويات في معاني القرآن للزجاج، رقية محمد صالح إبراهيم الحزامي، رسالة دكتوراه.

- 59-** الكامل في اللغة و الأدب، أبو العباس المبرّد، تحقيق الدكتور زكي مبارك، دار القلم للنشر و التوزيع، بيروت، الطبعة الأولى (1377هـ-1958م).
- 60-** الكتاب، لسيبويه تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة 3 (1403هـ-1983م)، مصر.
- 61-** كتاب المصاحف، أبو بكر السجستاني (ت316هـ)، تحقيق محب الدين واعظ، دار البشائر الإسلامية، ط1 (1415هـ-1995م)، ط2 (1423هـ-2002م).
- 62-** الكشف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، مطبعة مصطفى البابي، مصر.
- 63-** الكشف عن وجوه القراءات، ملكي بن أبي طالب، تحقيق محي الدين رمضان، دار الرسالة بيروت (1418هـ/1998م).
- 64-** اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي الدمشقي الحنبلي، تحقيق، عادل عبد الموجود و علي معوض، ط1، دار الكتب العلمية بيروت.
- 65-** لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.
- 66-** مجاز القرآن، لأبي عبيدة، تحقيق محمد فؤاد، مصر مكتبة الخانجي.
- 67-** المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق المجلس العلمي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- 68-** مدرسة الكوفة و منهجها في دراسة اللغة و النحو، مهدي المخزومي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2 (1377هـ-1958م).
- 69-** المدارس النحوية أسطورة و واقع، إبراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر و التوزيع، عمّان، الطبعة الأولى (1987م).
- 70-** المذاهب الإسلامية، جولد زيهري، ترجمة علي حسن عبد القادر، ط1 (1944م)، مطبعة العلوم بشارع الخليج.
- 71-** مذاهب التفسير الإسلامي، أجنس جولد زيهري.
- 72-** المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة المقدسي دار وقف الديانة أنقرة، تركيا.
- 73-** مسند الإمام أحمد.
- 74-** معاني القرآن وإعرابه، للزجاج أبي إسحاق إبراهيم، تحقيق عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، ط1.

- 75-** معاني القرآن للفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، دار السرور بيروت.
- 76-** معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأمصار، شمس الدين ابن عثمان الذهبي، تحقيق طيار آلي قولاج اسطنبول 1995م.
- 77-** المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، الطبعة الثانية، مارس (2007م).
- 78-** مفتاح العلوم للسكاكي، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1407هـ.
- 79-** المكتفي في الوقف و الابتداء في كتاب الله تعالى، أبو عمرو الداني، تحقيق يوسف المرعشلي، مطبعة الرسالة، بيروت.
- 80-** مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني، تحقيق فؤاد أحمد زمري، دار الكتاب العربي، ط1 (1415هـ - 1995م)، القاهرة 1943م.
- 81-** موسوعة كشاف الاصطلاحات و العلوم، محمد علي التهنوي، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان.
- 82-** الموضح في وجوه القراءات و عللها، ابن أبي مريم نصر بن علي الشيرازي الفارسي، تحقيق عمر حمدان، ط1.
- 83-** النشر في القراءات العشر، أبو الخير ابن محمد الجزري، مطبعة مصطفى محمد-مصر.
- 84-** الوافي في شرح الشاطبية، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، مكتبة الدار، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، (1404هـ - 1983م).

فهرس موضوعات البحث

مقدمة.....	أ- هـ
الفصل الأول: المسار التاريخي للقراءات القرآنية.....	1-57
تمهيد:.....	1-2
المبحث الأول: القراءات بين المثال و الواقع.....	3-16
المبحث الثاني: الأحرف السبعة بين الإثبات و النسخ.....	18-31
المبحث الثالث: القراءات القرآنية بين التوقيفية و التوفيقية.....	32-36
المبحث الرابع: مقاييس قبول القراءة.....	38-44
المبحث الخامس: تعدد القراءات في ضوء القوانين الصارمة للنحو.....	45-57
الفصل الثاني: مستويات الإنتاج الدلالي للقراءات.....	59-150
تمهيد:.....	59-62
المبحث الأول: الوقف و الابتداء.....	64-78
المبحث الثاني: الإبدال في الحروف.....	80-99
المبحث الثالث: الحرف بين الإثبات و الحذف.....	101-116
المبحث الرابع: الإبدال في الحركات الإعرابية.....	118-131
المبحث الخامس: الإبدال في الحركات غير الإعرابية.....	133-150
الخاتمة:.....	151-152

158 – 153.....: فهرس المصادر و المراجع

160 – 159.....: فهرس موضوعات البحث

ملخص

يتضمن البحث فصلين الأول بعنوان المسار التاريخي للقراءات القرآنية الذي يجسد مرحلة تناوب بين القرآن و القراءات في الدراسة و البحث تطرقت فيه لمصطلح الاختلاف و علاقته بالهجمات التي يشنها أعداء الإسلام على القرآن من باب القراءات كما عالجت فيه قضية إثبات الأحرف السبعة و نسخها التي بقيت الإشكال المطروح في هذا البحث. أما الفصل الثاني فهو فصل تطبيقي يبين الخطأ الذي وقع فيه الكثير من الباحثين في الفصل بين القراءات حيث يجسد التكامل بينها من خلال خمسة مباحث. و ينتهي البحث بخاتمة تمثل حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها بالإضافة إلى أهم الإشكاليات التي بقيت مطروحة في هذا البحث بالإضافة إلى أهم التوصيات المتعلقة بالبحث في القراءات القرآنية.

الكلمات المفتاحية :

القراءات؛ القرآن؛ الأحرف السبعة؛ التوقيفية؛ التوفيقية؛ المعنى؛ الأثر؛ التعدد؛ التكامل؛ الدلالة.

نوقشت يوم 24 جوان 2015